العدد 652 – الأحد 18 آب / أغسطس 2024 – السنة الثالثة عشرة
www.enabbaladi.net

عنب بلدي
enab baladi
من كرْم الثورة
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا

النظام يصرّ على "الدفع الإلكتروني" دون مؤهلات خدمية

13

روسيا وإيران.. تدافع اقتصادي عسكري في سوريا

ملف خاص

بانت الساحة السورية، مؤخرًا، مسرحًا لصالح تنافس بين روسيا وإيران، الحليفين الأكثر قربًا للنظام السوري (تعديل عنب بلدي)

أخبار سوريا 02

هل نجحت "تحرير الشام" في تقييد حراك إدلب

تقارير مراسلين 04

"تهريب بشر" بإدارة مكاتب ومهربين بين إدلب ومناطق النظام

تقارير مراسلين 04

لارتفاع سعر البندورة

بيوت في درعا تتخلى عن صناعة الدبس

تقارير مراسلين 05

اشتباكات دير الزور تتسبب بخسائر كبيرة للفلاحين

تقارير مراسلين 06

سكان القامشلي ينتظرون الحوالات لشراء احتياجات الدراسة

رياضة 19

أوريلي.. نجم خط الوسط لمستقبل مانشستر سيتي

"غيتوهات" سورية تحت الضغط في تركيا

تميل شريحة من السوريين منذ لحظة وصولهم إلى تركيا للبحث عن مكان إقامة يتركز فيه السوريون، ومنهم من يضيّق خياراته أكثر، إذ يبحث عن مكان تقيم فيه عائلات من أبناء محافظته أو مدينته.

ومع مرور السنوات، تشكّلت مناطق إقامة تركز فيها السوريون مثل حيي الفاتح وأسنيورت في ولاية اسطنبول، أو حيي الصحابية ودانشمنت في ولاية قيصري، أو محيط "سانكو بارك" (مركز تسوق) في غازي عينتاب، وغيرها في ولايات أخرى.

وعلى مدار سنوات إقامة السوريين في تركيا، ظهر مصطلح "الغيتو" لوصف تجمعات السوريين، وورد في بعض الأوقات خلال مناظرات بين طلاب وجامعيين، رصدتها عنب بلدي سابقًا...

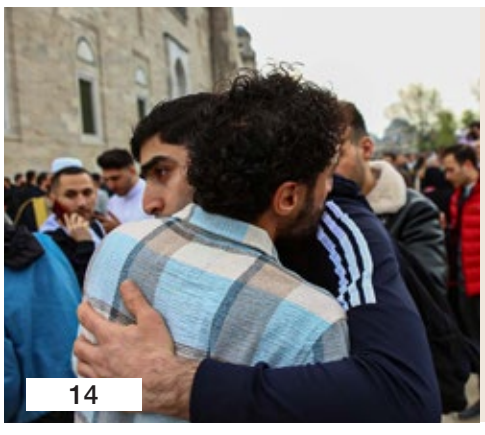

14

أسباب لتراجع الاحتجاجات

هل نجحت "تحرير الشام" في تقييد حراك إدلب

عنب بلدي – علي درويش

تراجعت حدة المظاهرات ضد "هيئة تحرير الشام" صاحبة النفوذ في إدلب خلال الأسابيع الماضية إلى النصف تقريبًا، لتصبح حوالي عشر نقاط تظاهر بينما كانت تصل إلى 20 نقطة في مختلف مدن وبلدت إدلب.
بدأت الاحتجاجات، نهاية شباط الماضي، على خلفية ملف "العمالة" وما رافقه من اعتقالات نفذتها "تحرير الشام" ضد قياديين وعسكريين في صفوفها إلى جانب مدنيين، وعمليات تعذيب أدت إلى وفاة عدة أشخاص.
ويقود الحراك ناشطون مدنيون، ويؤيده عسكريون وشرعيون معروفون في إدلب، ويرتكزون على مطلب أساسي هو رفض سياسة التفرد بالقرار التي تنتهجها "الهيئة".
نوعت "تحرير الشام" أساليب التعامل مع المظاهرات، فاستخدمت أسلوب الحوار ووعود الإصلاح تارة، وأسلوب القمع تارة أخرى عبر قوتها الأمنية، كاعتقال وتفريق المظاهرات بالقوة، ومحاولات منع حدوث تجمعات كبيرة للمتظاهرين.

ما أسباب التراجع

الباحث في الحركات الجهادية الدكتور عبد الرحمن الحاج أرجع، في حديث لعنب بلدي، انخفاض نشاط الحراك ضد "الهيئة" إلى ستة أسباب هي:

-1 السياسات التي اتبعها قائد "تحرير الشام"، "أبو محمد الجولاني"، بالاستجابة إلى جزء من المطالب، لكن دون أن تمس موقعه وإمساكه بخيوط القوة.

-2 تباين مصالح المتظاهرين وتركيز "الجولاني" على استثمار التناقض بينها، ففي حين يضغط على خصومه "الجهاديين"، فإنه يحاول التقرب وتحقيق مطالب الحراك الثوري المدني.

-3 نجاح "الجولاني" في جعل خصومه على قناعة بأنه لن يتخلى عن موقعه، وأنه لا أحد يستطيع زحزحته بغير القوة.

4 - انقسام الشارع تجاه الاحتجاجات ذاتها، إذ تسببت الاحتجاجات بفقدان الإحساس بالاستقرار والأمن، بينما كانت تأمل بالإصلاح أكثر من أملها بالتغيير الجذري.

-5 استطاع "الجولاني" تفكيك خصومه داخل "الهيئة"، والقضاء على التمرد داخل صفوف القوات التابعة لها من خلال "جهاز الأمن" العام الذي ظهر أنه يمسك بالفعل بزمام الأمور ويشكل أساس قوة "الجولاني".

-6 وصول المتظاهرين عمومًا إلى قناعة أن "الجولاني" خيار إقليمي ودولي لضمان بقاء المقاتلين الأجانب والتنظيمات "الجهادية" المتطرفة تحت السيطرة واستمرار تفكيكها.

تقرير لمركز "جسور للدراسات" نشر، في 10 من حزيران الماضي، أشار إلى أن الحراك آخذ بالتراجع التدريجي بسبب سياسات "الهيئة" القائمة على المواجهة والاحتواء.

لكن ذلك لا يعني قدرة "الهيئة" على إنهاء الاحتجاجات، بحسب التقرير، لأن استعمال القوة والحل الأمني قد يدفع مزيدًا من الشرائح الاجتماعية إلى الانضمام للاحتجاجات أو على الأقل تقديم الحماية إليها بأساليب مختلفة، خاصة أن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية المتردية يمكن أن تضفي مزيدًا من الاستياء على أداء "الهيئة" وسلوكها.

ويترافق ذلك مع غياب آفاق الحل السياسي الذي يُمكن أن يُعزز من حالة اليأس، ويدفع لموجات احتجاج أكبر تكون فيها "الهيئة" بموقع العاجز عن تقديم أي تحسن ملموس للواقع السياسي والاقتصادي والأمني.

يعطّلها الوجود الأمريكي والتحالفات

مساعٍ تركية لحصار "الإدارة الذاتية" من جهة العراق

عنب بلدي – يامن مغربي

نشطت التحركات التركية تجاه العراق خلال الأشهر الأخيرة، على الصعيدين الدبلوماسي والعسكري، وتُوّجت هذه التحركات عبر الإعلان عن توقيع اتفاقيات ضمن "الإطار الاستراتيجي" بين بغداد وأنقرة، في الوقت الذي نفذت فيه الأخيرة توغلًا ضمن مدينة دهوك العراقية خلال تموز الماضي.

الإعلان عن توقيع الاتفاقيات جاء في وقت حرج بالنسبة لـ"الإدارة الذاتية" وذراعها العسكرية "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، التي انخرطت في مواجهات عسكرية ضد قوات رديفة تابعة للنظام السوري خلال الأسبوع الماضي، على رأسها "قوات العشائر العربية".

وفي آذار الماضي، أجرى مسؤولون أتراك مباحثات في بغداد مع مسؤولين عراقيين.

وترأس الوفد التركي حينها، وزير الخارجية، هاكان فيدان، إلى جانب رئيس جهاز الاستخبارات، إبراهيم كالن، يرافقهما وزير الدفاع ووكيل وزارة الداخلية.

فيما حضر من الجانب العراقي كل من وزير الخارجية، فؤاد حسين، ووزير الدفاع ومستشار الأمن القومي ورئيس "هيئة الحشد الشعبي"، ووكيل جهاز المخابرات، ووزير داخلية كردستان العراق.

تضمنت المباحثات حينها قضايا أمنية تتعلق بشكل مباشر بحزب "العمال الكردستاني" (PKK)، الذي تضعه أنقرة على قوائم الإرهاب، ثم صدر بيان عن وزارة الخارجية العراقية حمل تأكيدًا على أن التنظيم يمثل تهديدًا لكل من البلدين.

وفي نيسان الماضي، زار الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، العراق، ووقع 27 اتفاقية.

وفي 15 من آب الحالي، قام وزير الخارجية العراقي، فؤاد حسين، بزيارة إلى أنقرة لتنفيذ الاتفاقيات الموقعة بما في ذلك جوانبها الأمنية.

للوهلة الأولى تبدو المباحثات والبيانات شأنًا عراقيًا- تركيًا، لكن العلاقات التي تجمع حزب "العمال" مع "قسد" وتلقيها ضربات جوية تركية متكررة، والاتهامات الموجهة لها، توحي أن تحرك أنقرة، إلى جانب ما تراه "أمنًا قوميًا"، يهدف كذلك لحصار "الإدارة الذاتية" ومحاولة قطع سبل الإمداد إليها عبر البوابة العراقية.

وستحمل هذه التحركات التركية، حال نجاحها، تأثيرًا على "الإدارة الذاتية" و"قسد" بطبيعة الحال، وفق باحثين التقتهم عنب بلدي.

إلا أن هذه التحركات قد تصطدم بعوامل داخلية عراقية تتسبب بعرقلتها أيضًا.

أنقرة تهدف لحصار "الإدارة الذاتية"

منذ إنجاز عمليتي "نبع السلام" و"غصن الزيتون" العسكريتين في الأراضي السورية من قبل تركيا في 2018 و2019، كرر المسؤولون الأتراك تهديداتهم بعملية عسكرية ثالثة تستهدف المناطق التي تسيطر عليها "الإدارة الذاتية" شمال شرقي سوريا.

لعبت الظروف الداخلية والإقليمية وكذلك الدولية، وتعقيدات الملف السوري، دورًا مهمًا في تأجيل العملية التي سبق وصرّحت أنقرة بأنها جاهزة لتنفيذها.

ومع تكرار التصريحات، استمرت أنقرة بتوجيه ضربات جوية، أكبرها في نهاية 2023، بالإضافة إلى إعلانات متكررة عن استهداف قادة في حزب "العمال" في سوريا، آخرها في حزيران الماضي، مع إعلان جهاز الاستخبارات التركي عن "تحييد" مسؤول منطقة الجزيرة في الحزب، علي دينتشر، الملقب بـ"أورهان بينغول".

ويبدو أن أنقرة تحاول أن تجد طرقًا أخرى لتضييق الخناق على "قسد"، عبر اتفاقيات أمنية مع حكومة بغداد الاتحادية، وكذلك عبر علاقاتها مع رئيس حكومة إقليم كردستان العراق، نيجيرفان بارزاني.

الباحث في مركز "جسور للدراسات" أنس شواخ، يرى في حديث لعنب بلدي أن التحركات التركية سيكون لها تأثيرها، خاصة مع التنسيق الأمني والعسكري المتزايد بين تركيا والحكومة العراقية، وكذلك مع حكومة إقليم كردستان.

وتتركز الآثار المتوقعة بالأمور اللوجستية، وكذلك بالملفات الاقتصادية والأمنية أكثر من العسكرية، وفق شواخ، مشيرًا إلى تركّز هذا التأثير على حزب "العمال" ومصالحه في شمال شرقي سوريا.

وأضاف أن هذه الآثار قد تتمثل بالتنسيق الأمني، الذي تنتج عنه زيادة في الإجراءات الأمنية أو إعادة ضبط انتشار حزب "العمال الكردستاني" أو الميليشيات التابعة له في المناطق الحدودية أو داخل العراق، في مناطق سنجار وجوارها، بحسب شواخ.

مظاهرة إحياء للذكرى الـ13 لانطلاقة الثورة السورية في مدينة بنش شرقي إدلب والمطالبة بإسقاط "الجولاني" – 15 من آذار 2024 (عنب بلدي/ إياد عبد الجواد)

الحراك متموج

الطبيب محمد فاروق كشكش، أحد منسقي الحراك الشعبي المناهض لـ"الهيئة"، يرى أن الحراك لم يتراجع، ويمر منذ بدايته بحركة تموجية يشتد وينخفض، ويجد أنه اشتد خلال الأسبوعين الماضيين بعودة بنش وتكتل بلدات منطقة حزانو شمالي إدلب إلى التظاهر.

وقال كشكش، لعنب بلدي، إن أسباب الانخفاض النسبي في بعض المناطق مثل مدينة بنش شرقي إدلب، تعود للقبضة الأمنية التي تجلت بتوجيه عناصر الألوية العسكرية إلى شوارع المدينة، ولكن "سرعان ما أفشل الحراك هذه الجهود الكبيرة للقوة العسكرية والأمنية بتماسك مكوناته، وعاد الزخم إلى حاله"، وفق كشكش.

أما في بعض المناطق الأخرى فزعيم "تحرير الشام"، "أبو محمد الجولاني"، لديه "فريق يجول على المناطق، يضغط على أهلها بترهيبهم وتخويفهم من الدماء"، وفق كشكش، لذا ينخفض نشاط الحراك نسبيًا ثم لا يلبث أن يعود، مثل أريحا وبنش.

مدينة بنش تعد أبرز المناطق النشطة من ناحية حركة المظاهرات وعدد المشاركين فيها منذ بدء الحراك، وشهدت عدة توترات نتيجة استخدام "الهيئة" القوى الأمنية لإيقاف المظاهرات، واعتقال عدد من الناشطين.

في 5 من تموز الماضي، أطلق أمنيون يتبعون لـ"الهيئة" النار على مظاهرة واعتقلوا بعض الأشخاص، وهو ما قوبل بهجوم أشخاص على مخفر بنش وحرق سيارة تتبع له.

تبعها توجيه "الهيئة" أرتالًا عسكرية إلى بنش، واتهام "إدارة الأمن العام" عناصر مسلحين تابعين للحراك بإثارة الفوضى.

وأصدر "الحراك الشعبي في بنش" حينها بيانًا رفض فيه أي شكل من أشكال العنف والتخريب لأي مرفق عام أو ملحقاته، وذكر أن ما حصل في مخفر بنش لا يمت للحراك بصلة، كما أن الاعتقال التعسفي من قبل "الأمن العام" هو فعل غير مبرر، محملًا "تحرير الشام" المسؤولية عن أفعال كهذه.

قوبل الانتشار الأمني في بنش بمظاهرات في عدة قرى وبلدات بإدلب تضامنًا مع بنش.

تصعيد آخر شهدته بنش وأجج غضب الأهالي، في 16 من تموز الماضي، كان إثر صدم سيارة لفتاة ضمن مظاهرة لـ"تحرير الشام"، ووجهت الاتهامات بتبعية السائق لـ"الهيئة".

في اليوم التالي، توصلت "الهيئة" مع اللجنة المفوضة عن حراك بنش إلى اتفاق ضم عدة بنود، أبرزها الإفراج عن موقوفي مدينة بنش على خلفية الأحداث الأخيرة، وسحب الحواجز والقوى الأمنية من بنش، وتعليق جميع أشكال الحراك والتظاهر في المدينة لمدة ثلاثة أشهر، وعودة الحياة المدنية إلى طبيعتها.

خيارات الحراك

الباحث عبد الرحمن الحاج، رجح تراجع الحركة الاحتجاجية مع الوقت، خصوصًا إذا التزم "الجولاني" بوعوده، والوصول إلى نتيجة تبين أن مطلب الاحتجاجات الأهم وهو إسقاط "الجولاني" بحكم "المستحيل في الوضع الراهن".

وسيؤدي التراجع المطرد للحركة الاحتجاجية إلى سؤال الجدوى من الاستمرار، ما سيفضي إلى توقفها في وقت قصير، بحسب الحاج.

يخالف محمد فاروق كشكش رأي الحاج بقوله، إن الحراك ماضٍ ولن يتوقف، ودخلت إليه في الآونة الأخيرة طبقة بدأت تقتنع بعجز "الجولاني" عن إنجاز الإصلاحات الموعودة.

ولا بديل أمام الحراك إلا "السير حتى بلوغ أهدافه التي باتت أقرب من أي وقت مضى"، بحسب كشكش، وذلك لعدة أسباب، هي مرور ستة أشهر على وعود الإصلاح دون رؤية أي شي حقيقي على أرض الواقع.

وصمود الحراك كل هذا الزمن رغم القبضة الأمنية والاعتقالات، ووضوح الرؤية عند تجمع الحراك لمرحلة ما بعد "الجولاني"، وطريقة الإدارة الرشيدة للمنطقة.

لكن الحاج ذكر لعنب بلدي أن أفضل الخيارات المتاحة الآن بعد هذا التحول خلال الأسابيع الماضية هي "التمسك بالإنجازات التي تحققت بسبب الحركة الاحتجاجية، والعمل على تحويلها إلى مكاسب غير قابلة للتراجع، وعلى رأسها الانتخابات".

وبحسب الحاج، "ليس مهمًا شخص الجولاني بقدر ما هو مهم تثبيت قواعد نظام يحتكم إليه المتظاهرون، ويكون لهم دور ومشاركة في صناعة القرارات المتعلقة بحياتهم اليومية"، إضافة إلى التعامل معه كخطوة للأمام يمكن البناء عليها ريثما يأتي الوقت المناسب للتغيير الجذري.

الباحث في شؤون الجماعات الجهادية عرابي عرابي، أوضح لعنب بلدي أن خيارات القائمين على الاحتجاجات لمواجهة تكتيكات "الهيئة" لإضعاف الحراك، هي بإعلانهم عن اتحاد معيّن أو الدعوة لاعتصامات وإضرابات كبيرة.

والخيار الثالث، وهو الأسلم والأفضل ويمكن أن يحقق لهم بعض المطالب، بحسب الباحث عرابي، التفاوض مع "الجولاني"، ما دامت لديهم قوة باقية يستغلونها ويستثمرونها في ذلك، و"أرى أنه سيقدّر هذا الأمر ويعطيهم بعض المكاسب والإصلاحات"، وفق قول عرابي.

وخيار الإضرابات والاحتجاجات يبدو أنه "لم ينفع في البيئة الموجودة بالشمال، لأن الأغلبية الصامتة لم تكن صامتة بحياد إيجابي إنما بحياد سلبي"، ولم تكن داعمة للحراك بأي شكل من الأشكال، أما الكتل الموالية لـ"الجولاني" فكانت فاعلة في إظهار عدم رضاها عن الحراك ودعم "الجولاني".

وإذا استمر قادة الحراك على نفس المنوال دون احتجاجات واعتصامات كبرى، "فلا أظن أن الأمر ذاهب لخيار داعم لهم أصلًا"، وفق تعبير عرابي.

بينما تحكم "تحرير الشام" قبضتها الإدارية والعسكرية على إدلب، تحظى المنطقة باستقرار نسبي على صعيد خطوط الجبهات منذ توقف المعارك عام 2020، لكن التهديدات الأمنية من النظام السوري وروسيا لا تزال تؤرق السكان، خاصة مع تكرار حملات القصف المدفعي والطائرات الانتحارية على خطوط التماس جنوبي إدلب.

وسيؤدي هذا التواصل في حال ضبطه أو إنهائه إلى قطع الجزء الأكبر من طريق الإمداد والتواصل بين أذرع حزب "العمال" في شمالي العراق وشمال شرقي سوريا، باعتبار أن هذه المنطقة هي منطقة العبور الرئيسة للأسلحة وتحرك القيادات والعناصر وتهريب النفط من وإلى شمالي العراق.

وتنفي "قسد" بشكل مستمر أي علاقة لها بحزب "العمال"، لكن هناك مؤشرات تظهر تقاربًا مع الحزب المنتشر بين سوريا والعراق وإيران وتركيا.

وسبق أن اعتبر قائد "قسد"، مظلوم عبدي، في مقابلة أجراها موقع "المونيتور"، في 2023، أن الحديث عن علاقة "قسد" بحزب "العمال" هو "أعذار" تستخدمها تركيا لشن هجمات في سوريا.

وأضاف حينها أن "قسد" مكوّنة من "كرد سوريين" يريدون بناء علاقة "سلمية" مع تركيا.

مدير مركز "جيواستراتيجي للأبحاث" (مقره ألمانيا)، إبراهيم كابان، يرى أن تركيا لديها استراتيجية "دفع الحصار" حول "الإدارة الذاتية".

وأوضح في إجابته عن أسئلة عنب بلدي، أن التدخل التركي في إقليم كردستان العراق وتعميق العلاقات معه ومع حكومة بغداد، ومحاولة زيادة القواعد العسكرية التركية شمالي العراق وفي مناطق أخرى كالموصل، وحتى الضربات الجوية التي طالت مواقع عراقية متاخمة لمناطق سيطرة "الإدارة الذاتية"، تأتي في السياق نفسه.

تعتقد أنقرة أن هذه الجهة تسهم بشكل كبير بفك الحصار عن "قسد"، بحكم أن العلاقة بين "قسد" والنظام ليست جيدة، والحدود مغلقة مع تركيا، وبالتالي فإن المنفذ الوحيد هو العراق.

ويعتبر معبر "سيمالكا- فيشخابور" الحدودي المنفذ الوحيد بين شمال شرقي سوريا (مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية") فيما يخص التبادل الإنساني والتجاري وإيصال الأدوية ومعالجة المرضى، وخاصة مرضى السرطان والحروق، وسفر المواطنين إلى الخارج.

ويعتبر معبر "الوليد" الحدودي مغلقًا أمام الحركة التجارية بالمنطقة، في حين تستخدمه قوات التحالف الدولي بقيادة أمريكا لنقل معدات عسكرية ولوجستية نحو قواعدها في سوريا، ويتم استخدامه فيحالات محددة.

عوامل الفشل والنجاح

تمتلك أنقرة أوراقًا لا يمكن الاستهانة بها لتنفيذ ما تريده باتجاه "الإدارة الذاتية"، سواء عسكريًا وعبر التهديد الدائم بتنفيذ العمليات العسكرية، أو عبر ملفات أخرى تجمعها مع العراق، على رأسها ملف المياه، وكذلك ملفات اقتصادية وتنموية.

لكن هذه الأوراق تصطدم بدورها بعاملين رئيسين، الأول هو الولايات المتحدة الأمريكية وقواعدها العسكرية الموجودة في العراق وشمال شرقي سوريا، بالإضافة إلى مصالحها مع "قسد".

أما الجانب الآخر فيتعلق بوجهات نظر الأحزاب الكردية الموجودة في إقليم كردستان العراق، التي قد لا تتفق مع السياسة التي ستتبعها بغداد أو حكومة الإقليم نفسه، وعلى رأسها حزب "الاتحاد الوطني الكردستاني" وزعيمه، بافل طالباني، الذي يملك علاقات جيدة مع "قسد".

وسبق لطالباني أن زار مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية" نهاية عام 2022، والتقى بمظلوم عبدي، كما أنه يملك علاقات جيدة مع قوات التحالف.

وفق كابان، فإن من المستبعد أن يصل الأمر إلى مرحلة القطيعة بين "قسد" وإقليم كردستان العراق، لأسباب اقتصادية أو أمنية وكذلك عسكرية.

وتتخذ الولايات المتحدة من إقليم كردستان العراق مركزًا لانتشارها في العراق وسوريا، كما أن التواصل مع "قسد" يتم من هناك، وبالتالي عملية المحاصرة لن تنجح حتى ولو سعت بغداد، بسبب الرفض الأمريكي المتوقع، أو لغياب التوافق عليها بين مختلف الحركات السياسية داخل العراق، التي يرى بعضها وجوب استمرار العلاقات مع "قسد"، مع الأخذ بعين الاعتبار أن لدى بعضها علاقات وتنسيقًا عسكريًا معها لمواجهة تنظيم "الدولة".

وأضاف أن العلاقات تختلف بين المكونات الكردية في الإقليم و"قسد"، فالأخيرة ضمن غرفة عمليات أمريكية واحدة مع قوات "البيشمركة" التي تشكّل القوة العسكرية في الإقليم، وهناك اتفاق أمريكي كردي- كردي لملاحقة متطرفين.

فيما يرى الباحث أنس شواخ أن التحركات التركية والانتشار داخل مناطق في شمالي العراق يأتي بتنسيق كامل مع الحكومة الاتحادية العراقية، ومع حكومة كردستان العراق بقيادة البارزاني، هنا يأتي موقف حزب "الاتحاد الوطني الكردي" بقيادة الطالباني الذي يملك علاقة جيدة مع حزب "العمال الكردستاني"، وسبق لطالباني أن زار مناطق "قسد" والتقى بمظلوم عبدي قبل عامين بإشراف قوات التحالف، ونفذوا عمليات مشتركة ضد تنظيم "الدولة الإسلامية".

وبالتالي، بحسب شواخ، فإن مستوى التنسيق عالٍ بين الطرفين ("قسد"- طالباني)، لكن تصنيف حزب "العمال الكردستاني كمنظمة إرهابية الآن أصبح يمثل تهديدًا لأي حزب أو قوى داخل العراق تحاول التنسيق أو دعم الحزب، وحتى الآن لا يوجد تحرك مضاد.

وزير الخارجية العراقي فؤاد الحسين (يمين) ونظيره التركي هاكان فيدان في أنقرة – 15 آب 2024 (رويترز)

تحركه الحاجة للقاء الأهل

"تهريب بشر" بإدارة مكاتب ومهربين بين إدلب ومناطق النظام

عنب بلدي – إدلب

بدموع الفرح، التقت "أم محمد" بولدها محمد الذي لم ترَه منذ 11 عامًا بسبب تهجيره القسري إلى مدينة إدلب، بعد أن وصلت إلى الشمال السوري في تموز الماضي، متجاوزة خطوط التماس بين مناطق سيطرة النظام والمعارضة.

تحملت السيدة مشقة السفر مدة أسبوع كامل بعد أن وصلت إلى إدلب قادمة من مدينة دمشق عن طريق "مهربين" يديرون عمليات التهريب، ودخلت عبر طرقات من ريف حلب.

وصلت السيدة (54 عامًا) إلى إدلب لرؤية ابنها محمد (35 عامًا)، والتعرف إلى زوجته وأطفاله والبقاء مدة من الزمن ثم العودة إلى منزلها وأسرتها في دمشق.

لم يكن الطريق سهلًا، إذ تعرضت لصعوبات في أثناء السفر، كالاضطرار للمشي لمسافات طويلة، وغياب أماكن جيدة للمبيت، والتعرض للسرقة.

قالت "أم محمد" لعنب بلدي، إن ابنها كان مطلوبًا لأجهزة الأمن في النظام السوري عام 2012، ما اضطره للانتقال إلى داريا في ريف دمشق، التي كانت بعيدة عن قبضة قوات النظام.

ومنذ أن تعرضت داريا لحصار انتهى بتهجير من فيها إلى إدلب عام 2016، تحمل الأم أمنيات بلقاء ابنها.

قالت السيدة، إن ابنها تزوج ورُزق بثلاثة أطفال بعد وصوله إلى إدلب، وكانت تتواصل معه عبر "مكالمات فيديو"، لكنها لم تكن كافية للاطمئنان و"إطفاء نار الشوق" في قلب والدته.

الكثير من المواطنين الذين يرغبون بالقدوم إلى إدلب لرؤية أقربائهم يجدون أنفسهم مجبرين على عبور طرق التهريب بسبب صعوبة المرور عبر حواجز قوات النظام، ما يضعهم تحت رحمة المهربين.

مكاتب مخصصة للسفر

ينتشر في مدينة إدلب العديد من المكاتب التي تعمل بنقل المسافرين من مناطق سيطرة النظام إلى إدلب والشمال ككل وبالعكس، وتخيّر العديد من المكاتب المسافرين بين القدوم بشكل نظامي أو عبر التهريب.

ويكمن الاختلاف بين طريق التهريب والطرق النظامية (طرق السفر المتفق عليها بين الجهات المسيطرة) في أن الأخيرة أقل تكلفة، إذ تبلغ تقريبًا 250 دولارًا أمريكيًا، ويجب على المسافر إرسال صورة عن الهوية قبل أسبوع للمكتب الذي ينسق أمور السفر.

ويستغرق السفر عبر الطرق النظامية مدة ثلاثة أيام تقريبًا، إذ تنطلق الرحلة من حلب يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ويتوقف المسافرون على حواجز التفتيش المختلفة للجهات المسيطرة، ويصل المسافرون يوم الخميس ليلًا أو الجمعة صباحًا.

الطرق النظامية لا تعتبر خيارًا مناسبًا للشبان القادمين من مناطق سيطرة النظام المطلوبين للفروع الأمنية أو المتخلفين عن الخدمة الإلزامية، وهي أيضًا غير مناسبة لكبار السن الذين لا يستطيعون التحمل مشقة السفر لثلاثة أيام كاملة.

"الكونسروة" والتصدير يستحوذان على المحصول

بيوت في درعا تتخلى عن صناعة الدبس

درعا – حليم محمد

أدى ارتفاع أسعار البندورة في السوق المحلية بمحافظة درعا جنوبي سوريا إلى عزوف سيدات عن صناعة دبس البندورة، وهي مؤونة حرصت النساء على تخزينها في كل عام.

يشتري الأهالي البندورة من المزارعين مباشرة أو من سوق "الهال" من صنف "الدرجة الثالثة" شديد الاحمرار الذي لا يصلح للتصدير، يصل سعر الكيلوغرام منه إلى 3500 ليرة سورية، وهو غير ثابت يختلف وفق الجودة.

أما سعر كيلوغرام البندورة من الصنف الأول في محال بيع الخضار فوصل إلى 7500 ليرة سورية (0.5 دولار أمريكي)، وهو أعلى سعر تصل إليه البندورة في ذروة موسمها على مدار السنوات الماضية.

عزوف عن الصناعة

لم تصنع أسرة عبد الكريم (56 عامًا) القاطن في ريف درعا الغربي دبس البندورة هذا العام لغلاء سعر البندورة في السوق المحلية، على عكس العام الماضي.

وقال لعنب بلدي، إنه اشترى كيلو البندورة الخاص بصناعة الدبس عام 2023 بسعر 500 ليرة سورية، إلا أن سعر الكيلو من "الدرجة الثالثة" لا يقل عن 3500 ليرة سورية لهذا العام.

وتستخدم البندورة لصناعة دبس البندورة، وهي تكون مكتملة الاستواء، وسعرها أقل من التي تُصدّر أو تُباع في السوق المحلية.

وتحتاج أسرة عبد الكريم إلى ما يقارب 60 كيلوغرامًا من البندورة لإنتاج ما يقارب 15 كيلوغرامًا من الدبس.

وتعمل عائلة عبد الكريم بالزراعة التي تراجعت مؤخرًا بسبب تناقص منسوب مياه الري، ما يعني أن مردوده المالي تراجع أيضًا.

أما السيدة أنعام (33 عامًا) القاطنة في ريف درعا الغربي، فقالت إنها لن تتمكن من صناعة دبس البندورة هذا العام في ظل استمرار ارتفاع الأسعار.

وأضافت السيدة أنها كانت تصنع دبس البندورة في كل صيف حين هبوط سعر البندورة في ذروة إنتاجها خاصة خلال تموز.

وذكرت أنها لم تعهد هذا الارتفاع خلال السنوات الماضية، إذ من المعتاد أن يرتفع سعر البندورة في فصل الشتاء لا في فصل الصيف بذروة إنتاجه.

دبس جاهز بالكيلو

حول البدائل، قالت أنعام إنها ستشتري دبس البندورة بالكيلو رغم تفضيل أسرتها صناعته بالمنزل.

ويصل سعر كيلو دبس البندورة الجاهز من إنتاج المعامل إلى 11 ألف ليرة سورية (0.8 دولار أمريكي).

فاطمة المفعلاني (47 عامًا) سيدة في ريف درعا الشرقي، قالت لعنب بلدي، إن دبس البندورة المنتج من قبل معامل "الكونسروة" أوفر من ناحية الجهد، ومتقارب في السعر مع المصنّع منزليًا.

وأضافت أنها توفر جهدًا من خلال شرائها الدبس جاهزًا، إذ تحتاج صناعة دبس البندورة إلى مراحل وصفتها بالشاقة، تبدأ بغسل حبات البندورة وتقطيعها ومن ثم عصرها، وبعدها يتم نشر العصير حتى يجف أو غليه حتى يتماسك.

وقالت فاطمة، إن بعض المعامل تنتج دبس بندورة معتدل الحموضة وأقل ملوحة من الذي تصنعه السيدات في المنزل.

وبلغ عدد منشآت "الكونسروة" في درعا 40 منشأة، تستوعب كل واحدة منها ما يقارب 2000 طن من البندورة، بحسب ما قاله مدير صناعة درعا، عماد رفاعي، لصحيفة "تشرين" الحكومية، في 17 من تموز الماضي.

ارتفاع في موطنها

ارتفاع الأسعار بات أمرًا اعتياديًا في سوريا، لكن من غير المفهوم ارتفاع أسعار السلع في مناطق تعد مصدرًا أساسيًا لها.

وتعد محافظة درعا من المناطق المنتجة لمادة البندورة المرغوبة للسوق المحلية والتصدير إلى دول الخليج العربي.

وقدّرت مديرية زراعة درعا إنتاج المحافظة من البندورة بما يقارب 400 ألف طن لهذا الموسم.

تاجر خضار في مدينة طفس، قال في حديث سابق لعنب بلدي، إن التصدير واستجرار البندورة لمعامل "الكونسروة" سببان رئيسان في مواصلة ارتفاع سعرها.

وأضاف أنه يصدّر البندورة من مشغله مباشرة إلى معبر "نصيب" ثم إلى دول الخليج العربي.

بدوره، قال محمد العقاد، عضو لجنة سوق "الهال" في تصريح لجريدة "الثورة"، إن الكميات المصدّرة منذ 28 تموز الماضي وحتى 3 من آب الحالي وصلت إلى 2800 طن من الخضار والفواكه، وتوزعت على معظم دول الخليج العربي.

وبلغت الكميات المصدّرة من الفواكه والخضار إلى المملكة العربية السعودية 1075 طنًا، وبالنسبة لمادة البندورة كان نصيب الكويت 225 طنًا، والإمارات العربية المتحدة 125 طنًا، والبحرين 200 طن، وسلطنة عمان 75 طنًا.

ويفضّل مزارعون في درعا توريد البندورة للمعامل مباشرة لتوفير تكلفة أجور النقل، والعبوات، و"كمسيون" التجار، إذ وصل سعر العبوة من الفلين إلى 12 ألف ليرة سورية (0.8 دولار)، بينما تصل أجرة نقل المحصول من درعا إلى دمشق لـ1.2 مليون ليرة سورية (82 دولارًا أمريكيًا).

ارتفاع أسعار البندورة في درعا أبعد سيدات عن صناعة دبس البندورة – 24 من تموز 2024 (عنب بلدي/ حليم محمد)

تنشط عمليات "تهريب البشر" مقابل المال بين مناطق السيطرة في سوريا - 13 من آب 2019 (عنب بلدي)

أما طرق التهريب فتستمر أطول رحلة عبرها مدة 36 ساعة (في حال تضمنت سيرًا أطول على الأقدام بين خطوط التماس)، وفي معظم الأحيان أقل من هذه المدة، وتتراوح تكلفتها بين 350 و500 دولار أمريكي، إلا أن بعض المسافرين يضطرون لرمي حقائبهم في أثناء المسير.

وتضمن هذه المكاتب للمسافرين القادمين عبرها سلامة الأمتعة في الطرق النظامية، بشرط أن تكون الأمتعة قليلة، أما في حال قدوم المسافر عبر طرق التهريب، فتبلّغ المكاتب المسافر بعدم حمل أمتعة ثقيلة وفي حال كان ذلك، فإنها لا تضمن سلامتها.

أما الأشياء الثمينة، فتضمن المكاتب سلامتها بشرط تسليمها للمكتب قبل السفر فقط.

تكاليف مرتفعة

"أبو حمزة" مهجر من حمص يقيم في إدلب (رفض التعريف باسمه الصريح لمسائل أمنية تتعلق بأمن عائلته) قال، إن والدته زارته عام 2023، وبلغت تكلفة وصولها وعودتها 850 دولارًا أمريكيًا، وإلى الآن لم يسدد الديون التي ترتبت عليه، لافتًا إلى أن فترة زيارتها استمرت ثلاثة أشهر.

وذكر "أبو حمزة" أن الخطة كانت تقضي بقدوم والدته عبر الطرق النظامية، وفعلًا تعاقد مع أحد المكاتب، لكن بعد وصول والدته إلى حلب أبلغه صاحب المكتب أن الطرق النظامية أُغلقت.

بعد ذلك، لم يبقَ أمام الرجل سوى عودة والدته من حيث أتت، أو القدوم عبر طرقات التهريب، لافتًا إلى أن أصحاب المكاتب يستغلون حاجة المواطنين لتحقيق أرباح طائلة.

ويعيش السكان في سوريا واقعًا اقتصاديًا مترديًا في عموم مناطق السيطرة، في حين يسكن شمال غربي سوريا 5.1 مليون شخص، منهم 4.2 مليون بحاجة إلى مساعدة، و3.4 مليون منهم يعانون انعدام الأمن الغذائي، 3.4 مليون منهم نازحون داخليًا.

من أصل مجموع السكان، يعيش مليونان في المخيمات، وفق الأمم المتحدة، في حين تتحدث إحصائيات محلية عن وجود 5.5 إلى 6 ملايين شخص في الشمال.

وتتراوح الرواتب الحكومية في مناطق سيطرة حكومة "الإنقاذ" بإدلب بين 80 و110 دولارات، بينما لا تتجاوز أجرة العامل اليومية في الشمال السوري ثلاثة دولارات في أحسن الأحوال.

ويبلغ الحد الأدنى للرواتب الحكومية في مناطق سيطرة النظام السوري 279 ألف ليرة سورية (18.7 دولار).

مشقة واستغلال

يعاني المسافرون إلى الشمال السوري العديد من المشقات، تبدأ من أماكن تجميعهم للسفر وقطع مسافات طويلة غير آمنة سيرًا على الأقدام، ومخاوف التعرض للاعتقال في جميع المناطق التي يعبرونها باختلاف من يسيطر عليها، والاضطرار لركوب سيارات غير مخصصة لنقل الركاب، والتعرض لعمليات السرقة (التشليح).

اتفق "أبو محمد" مع "مهرب" على أن يوصل والده من إدلب إلى حلب ومنها إلى دمشق، عقب زيارته إلى الشمال السوري.

بعد وصول والد "أبو محمد" إلى حلب، اتصل به شخص واصطحبه إلى منزل للانتظار تحضيرًا للحظة الانطلاق، وكان من المقرر أن يبقى في المنزل لساعات قليلة لكنه بقي فيه ثلاثة أيام.

قال "أبو محمد"، إن المنزل لم يكن مجهزًا بأي وسائل للسكن، وبالكاد فيه مرحاض وبعض الإسفنجات لجلوس الناس عليها، وتنتشر فيه الأوساخ.

صادر المهرب هواتف المسافرين خوفًا من التعرض للمداهمة من قبل السلطات، أما وجبات الطعام فكانت قليلة وفاسدة.

وذكر الشاب أن والده يعاني من عدة أمراض تحتاج إلى أدوية في مواعيد معينة أخبر المهرب بها، ما كلّف الشاب مبالغ إضافية للعناية بوالده عناية خاصة، لكنه تفاجأ بعد وصول والده بعدم الاهتمام بحالته الصحية، ونُقل إلى المستشفى مباشرة بعد وصوله إلى دمشق.

وفي 23 من أيلول 2022، قُتلت امرأة وأُصيب مدنيان بانفجار لغم أرضي خلال محاولة العبور من خطوط التهريب بين مناطق نفوذ النظام و"الجيش الوطني" قرب قرية فيخة حمدان شرق بلدة بزاعة بريف حلب الشرقي.

ونقلت عنب بلدي عن مراسلها في المنطقة أن لغمًا أرضيًا انفجر بمجموعة مدنيين كانوا يحاولون العبور باتجاه مناطق شمالي حلب قادمين من مناطق نفوذ النظام عبر خطوط التهريب، ما أسفر عن إصابات.

ورغم مخاطر السفر تلك والتكاليف المرتفعة، فإن انعدام الخيارات أمام الأشخاص يجبرهم على تحمل كل تلك الصعوبات للقاء آبائهم وأبنائهم.

طرفا المواجهة يمنعان سقاية المحاصيل

اشتباكات دير الزور تحرم المزارعين من الوصول لأراضيهم

دير الزور – عبادة الشيخ

منذ بدء التصعيد العسكري بين "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد) ومجموعات عشائرية تُتهم بتلقي الدعم من النظام وإيران، في ريف دير الزور الشرقي، يتعرض مزارعو المنطقة لتقييد وصولهم إلى أراضيهم، ما تسبب لهم بخسائر فادحة.

وفي المناطق التي تركزت فيها المواجهات العسكرية على ضفتي نهر الفرات الغربية حيث تتمركز قوات النظام، والشرقية حيث "قسد"، تنتشر الأراضي الزراعية، ويعاني أصحابها من منع طرفي القتال لهم من ممارسة عملهم، حتى بعد هدوء المواجهات.

خسائر كبيرة وتوقف السقاية

مجد الفراش، وهو مزارع في بلدة بقرص شرقي دير الزور غرب نهر الفرات، مُنع من الوصول إلى أرضه المحاذية لنهر الفرات والمزروعة بالقطن، رغم اقتراب موعد موسم القطاف.

وقال مجد لعنب بلدي، إن محصوله بحاجة إلى الري والعناية، ويتوقع خسائر كبيرة، بعد مرور أكثر من أسبوع على منعه من زيارة محصوله.

وأضاف أنه لم يتوقع أن يُمنع من زيارة أرضه لمدة طويلة، إذ كانت آخر سقاية أجراها في 5 من آب الحالي، أي قبل يومين من اندلاع المواجهات، وقد مرت 11 يومًا دون ري للمحصول الذي يحتاج إلى الكثير من الماء بالحالة ا لطبيعية .

المزارع محمد الكسم (55 عامًا)، قال من جانبه لعنب بلدي، إن الأهالي هم الخاسر الأكبر، خصوصًا بعد أن توقفت أغلبية الأعمال إثر حظر تجول مفروض في المنطقة على خلفية التصعيد.

محمد قال إن لديه أرضًا مزروعة بالقطن مساحتها 35 دونمًا، وتحتاج إلى الري منذ أيام، لكنه لم يستطع الوصول إليها، مشيرًا إلى أن محصوله لهذا العام مهدد بالتلف، خصوصًا أنه لم يروه منذ أكثر من 15 يومًا، علمًا أن المحصول بحاجة للسقاية خلال مدة زمنية أقصاها عشرة أيام.

وتعتمد مناطق شرقي دير الزور على الزراعة، وتتركز المساحات المزروعة بالقرب من نهر الفرات بسبب وفرة المياه فيها.

المزارعون الذين تواصلت معهم عنب بلدي، اعتبروا أن منع الوصول للأراضي الزراعية تسبب لهم بخسائر كبيرة، وأضر بمصالحهم، خصوصًا أن الحياة شبه متوقفة في مناطق شرق الفرات من ريف دير الزور، بسبب نزوح عدد كبير من السكان.

وتضررت عدة محاصيل صيفية بسبب القصف المتبادل ومنع المزارعين من الوصول إليها، أبرزها محاصيل البندورة والخيار والباذنجان التي تحتاج إلى السقاية بشكل دوري وإلى يد عاملة تتفقدها يوميًا.

ويعتقد مزارعون من مناطق شرق الفرات أن لا آمال بإنقاذ محاصيلهم لهذا العام.

قنص المزارعين واستهدافهم

عماد الفواز، مزارع من بلدة الصبحة بريف دير الزور الشرقي شرق نهر الفرات، قال لعنب بلدي، إن النقاط العسكرية التابعة لـ"قسد" بالقرب من نهر الفرات منعته هو وأصحاب الأراضي القريبة من النهر من سقاية أراضيهم والوصول إليها منذ بدء التصعيد في دير الزور، وفي حال مخالفة القرار فالمزارع معرض لإطلاق النار بتهمة التسلل عبر النهر.

وذكر المزارع الفواز أنه لن يتمكن من ري أرضه في الوقت الحالي، علمًا أن الزراعة تعتبر مصدر الدخل الأساسي له ولعائلته.

ولا يستطيع المزارعون الوصول إلى أراضيهم القريبة من نهر الفرات لوجود قناصين على الجهتين يستهدفون أي شخص يقترب من النهر.

آثار أخرى للمواجهات

في الآونة الأخيرة، تصاعدت وتيرة القصف والاشتباكات المتبادلة بين ميليشيات تابعة لقوات النظام، و"قسد"، ما خلّف ضحايا مدنيين، إلى جانب خسائر مادية وأضرار في البنى التحتية عانى منها سكان المنطقة.

وأدى التصعيد العسكري إلى حالات نزوح جماعي لسكان خاصة في بلدات الصبحة وأبو حمام وذيبان والبصيرة والدحلة، بعد قصف للنظام على هذه المناطق خلّف 11 ضحية من المدنيين في بلدة الدحلة.

وعلّق مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA) على اشتباكات دير الزور شرقي سوريا، التي أثرت على وصول المساعدات والخدمات الأساسية للمدنيين في محافظتي دير الزور والحسكة.

وذكر تقرير لـ"OCHA"، في 14 من آب الحالي، أن دير الزور شهدت اشتباكات عنيفة وعمليات قنص، ما أدى إلى مقتل 25 مدنيًا على الأقل وإصابة آخرين ونزوح أعداد كبيرة.

وعاق إغلاق معبر الفرات والاشتباكات "بشدة" وصول المدنيين إلى الخدمات الأساسية والمساعدات الإنسانية، وقيّد الوصول إلى الرعاية الصحية والمياه والغذاء بشكل كبير، ما أدى إلى ارتفاع الأسعار وتفاقم الظروف المعيشية القاسية.

ورغم التطورات الإيجابية مؤخرًا، لا تزال هناك تحديات كبيرة، والعاملون في مجال الإغاثة يواجهون قيودًا على الحركة، وبالتالي عرقلة تسليم المساعدات الإنسانية في الوقت المناسب لأكثر من 100 ألف شخص يعانون بالفعل من ظروف الصيف القاسية، وفق التقرير.

ودعا "OCHA" الأطراف إلى اتخاذ كل التدابير اللازمة لحماية المدنيين والبنية الأساسية المدنية والعمليات الإنسانية، وفقًا للقانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان، وضمان وصول المساعدات الإنسانية بشكل فوري وآمن ومستدام ودون عوائق لجميع المحتاجين.

أرض زراعية في بلدة أبريهة بريف دير الزور الشرقي على ضفة نهر الفرات الشرقية- 4 من آب 2024 (عنب بلدي/ عبادة الشيخ)

قبيل العام الدراسي

سكان القامشلي ينتظرون الحوالات لشراء احتياجات الدراسة

تلاميذ في مدرسة تابعة لحكومة النظام في القامشلي – تشرين الأول 2023 (عنب بلدي/ مجد السالم)

القامشلي – مجد السالم

تجد العائلات في مدينة القامشلي شرقي سوريا نفسها أمام نفس الصعوبات مطلع كل عام دراسي، جراء مستلزمات الأبناء المدرسية، والأقساط المرتفعة التي تعد واحدة من أكبر العقبات التي تواجههم، خاصة في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها المنطقة.

هموم العائلات تسبق العام الدراسي الذي يبدأ في 8 من أيلول المقبل، فقلة الكتب وارتفاع أسعارها مع القرطاسية وتكاليف النقل اليومية، تشكل عقبة أمام الأهالي.

قسط المدرسة.. العبء الأثقل

تواجه مريم صفوك (39 عامًا)، المقيمة في القامشلي، صعوبة في تسديد الأقساط المدرسية لأطفالها الثلاثة كل عام، والتي تشهد ارتفاعًا بداية العام الدراسي، دون مراعاة لأوضاع الأهالي الاقتصادية، حسب قولها.

وأضافت السيدة لعنب بلدي أن "رحلة البحث" عن مدرسة مناسبة لدخل العائلة متعبة، فالأسعار ليست ثابتة، وأحيانًا ترتفع من فصل لفصل.

وتستذكر السيدة أنه في عام 2023 كان قسط الطالب الواحد بالمدرسة 450 ألف ليرة سورية (30 دولارًا أمريكيًا)، وفي الفصل الثاني رفعت إدارة المدرسة الأقساط إلى 600 ألف ليرة لكل طالب (40 دولارًا).

معاناة السيدة مشابهة لآلاف العائلات، خاصة في مسألة الأقساط المدرسية التي يراها مالك الوهب (46 عامًا) من سكان المدينة أيضًا، بأنها "العبء الأثقل".

وذكر مالك، وهو أب لطالبين في المرحلة الإعدادية، أن بحث الأهالي مستمر عن مدرسة قريبة بأقساط مناسبة، إذ وصلت بعض أقساط المدارس الخاصة عام 2023 إلى نحو مليون ليرة سورية (66 دولارًا) في كل فصل.

وبحسب ما علمته عنب بلدي من الأهالي، فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة إذا كان لدى العائلة أطفال في المرحلة الابتدائية، لأنه يجب تأمين "سرافيس" أو "تكاسي" خاصة للتعاقد معها ونقل الأطفال إلى المدرسة، بأجرة شهرية تتراوح بين 50 ألفًا و100 ألف ليرة سورية (سبعة دولارات) عن كل طالب.

وتختلف الأجور تبعًا للمسافة ونوع المركبة، في حين يمكن لطلبة المرحلة الثانوية أو الإعدادية التنقل سيرًا على الأقدام ضمن المدينة.

البحث عن مدرسة قريبة بأجور منخفضة

سابقًا كان في كل حي من أحياء المدينة مدرسة أو اثنتان لتلاميذ المرحلة الابتدائية، إذ تكون المدرسة قريبة من مكان السكن.

ومع سيطرة "الإدارة الذاتية" على المدارس في المدينة ومنع تدريس مناهج حكومة النظام، يضطر السكان إلى أرسال أبنائهم إلى مدارس خاصة أو حكومية ضمن المربع الأمني (تسيطر عليه قوات النظام).

قال حسام الوهب (50 عامًا) القاطن في حي الكورنيش لعنب بلدي، وهو يبحث عن مدرسة مناسبة لأبنائه منذ نحو أسبوع، إن المدرسة يجب أن تكون مناسبة من حيث الأقساط الفصلية، وجودة التدريس وعدد الطلاب في الصف الواحد، والقرب من مكان السكن.

وأضاف حسام أن تحقيق تلك المعادلة صعب في ظل الظروف الراهنة، فالمدارس الحكومية المجانية "مكتظة جدًا" بالطلاب، الذين يصل عددهم في الصف الواحد إلى 45 طالبًا وطالبة. واعتبر أن الاكتظاظ ينعكس سلبًا على جودة التعليم، خصوصًا لتلاميذ الصف الأول والثاني الابتدائي، الذين يحتاجون إلى متابعة من المدرس خلال الدروس، لافتًا إلى أن المدارس الخاصة باتت لا تلتزم أيضًا بعدد معيّن ضمن الصف الواحد، وأصبح تحقيق الربح "أهم".

يعتمد حسام في توفير تكاليف تعليم ابنه على ما يرسله ولده الأكبر، وهو لاجئ إلى إحدى الدول الأوروبية، ولولا ذلك لما استطاع توفير "فرصة تعليمية" لابنه، لأن راتبه الشهري لا يتجاوز 500 ألف ليرة سورية (32 دولارًا أمريكيًا).

ومثل حسام الكثير من العائلات تنتظر استقبال الحوالات الخارجية بحسب ما رصدته عنب بلدي، خاصة مع اقتراب العام الدراسي، وذلك لتأمين مصاريف المدرسة من رسوم وتكاليف قرطاسية ولباس وتنقل، إذ تزيد نسبة التحويلات النقدية قبيل العام الدراسي في ظاهرة تشبه التحويلات التي ترسل قبيل الأعياد.

600 ألف ليرة دون لباس

وبحسب جولة لعنب بلدي على أسعار القرطاسية المعروضة بالسوق، فإن الطالب الواحد يكلف تجهيزه نحو 600 ألف ليرة سورية (40 دولارًا)، موزعة بين حقيبة ودفاتر وأقلام وكتب وغيرها من القرطاسية، وربما تزيد لطلبة المرحلة الثانوية، عدا عن سعر اللباس المدرسي الذي تراوحت تكلفته بين 500 ألف ومليون ليرة سورية، مع حذاء جديد.

وبسبب فروقات التعليم في الحسكة بين مناطق سيطرة "الإدارة الذاتية" والنظام، يعاني السكان من دفع تكاليف باهظة في سبيل تأمين التعليم لأطفالهم، إذ يفضل أغلب السكان مدارس حكومة النظام المعترف بها على مدارس "الإدارة الذاتية".

وتتبع معظم مدارس محافظة الحسكة لسلطة "الإدارة الذاتية"، بينما يتوجه آلاف الطلبة إلى مدارس حكومة النظام التي عادة ما تكون ضمن المربعات الأمنية أو في الريف الواقع تحت سيطرته.

وفي عام 2022، صرح محافظ الحسكة، لؤي محمد صيوح، بأن 130 ألف تلميذ وطالب يتوجهون إلى المدارس الحكومية (تدار من قبل وزارة التربية في حكومة النظام)، البالغ عددها نحو 146 مدرسة فقط .

ونقلت صحيفة تشرين الحكومية عن صيوح قوله، إن 2285 مدرسة كانت موجودة في المحافظة قبل خروج 2139 مدرسة من المنظومة التعليمية (التابعة لوزارة التربية السورية) "بدعم من المحتل الأمريكي، واستخدامها لأغراض خارج العملية التعليمية"، بحسب وصف المحافظ.

صهريج سعته 5 براميل بـ100 ألف ليرة

ارتفاع أسعار مياه الشرب ينهك سكان ريف رأس العين

عنب بلدي – رأس العين

يعاني قاطنو ريف رأس العين شمال غربي الحسكة من ارتفاع تدريجي في أسعار المياه، منذ حزيران الماضي، إذ تصاعد سعر خزان المياه بسعة خمسة براميل من 60 ألفًا إلى 100 ألف ليرة سورية (سبعة دولارات أمريكية) في آب الحالي.

وأثرت هذه الزيادة في حياة السكان، ما جعل الحصول على الماء بأسعار "معقولة" بمنزلة تحدٍّ حقيقي لهم، في وقت يتقاضى فيه عمال المياومة بين 80 ألفًا و100 ألف ليرة سورية (الدولار يعادل 15200 ليرة سورية).

بالتزامن مع زيادة الاستهلاك

مع حلول فصل الصيف، يزداد استهلاك المياه من الأهالي، إذ تضطر الأغلبية إلى تعبئة خزان مياه الشرب كل ثلاثة أيام.

قال فريد الحسن القاطن في قرية المناجير جنوبي رأس العين، إن سعر خزان المياه بسعة خمسة براميل كان في السابق لا يتجاوز الـ50 ألف ليرة سورية، لكنه ارتفع مؤخرًا بشكل مبالغ فيه، ما شكّل عبئًا ماليًا إضافيًا عليه .

وأوضح أن عائلته تستهلك المزيد من المياه في فصل الصيف، ويضطر لدفع أكثر من 200 ألف ليرة أسبوعيًا فقط لمياه الشرب.

وأضاف أنه يعتمد على مياه البئر الموجودة بجانب منزله لتلبية احتياجات المنزل، لكنها غير صالحة للشرب، معتبرًا أن التجار يستغلون حاجة الأهالي للمياه ويقومون بفرض أسعار مرتفعة عليهم.

وذكر أن سكان القرية تلقوا وعودًا من الجهات المسؤولة باتخاذ إجراءات لمعالجة هذه المشكلة، بما في ذلك توفير مياه الشرب إما عن طريق إيصال المياه من محطة "علوك" أو حفر آبار جوفية بدلًا من السطحية.

من جانبه، عزيز العزو، أحد سكان قرية تل المحمد شرقي رأس العين المحاذية لمناطق سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، قال إن الأهالي في القرية يواجهون نفس المشكلة، ويعتمدون على أنفسهم للحصول على المياه، وذلك من خلال استخدام الدراجات النارية والسيارات الخاصة لجلبها.

وذكر لعنب بلدي أنه يضطر للذهاب بسيارته إلى رأس العين لتعبئة المياه من المنهل، بسبب عدم وصول صهاريج المياه إلى قريته نتيجة المخاوف من استهدافها من قبل "قسد".

وتوجد في قرية فريسة غرب جنوبي رأس العين بئر مياه تعمل على الكهرباء، تم تشغيلها وصيانتها من قبل المجلس المحلي، وتوفر المياه للقرية، لكنها غير صالحة للشرب، ما يضطر السكان لشراء المياه.

البئر تم حفرها خلال فترة سيطرة النظام السوري على المنطقة قبل 2011، ولم يتم استبدالها أو حفر بئر جديدة حتى الآن، ويرجع ذلك إلى أن تكلفة حفر بئر جديدة بعمق 450 مترًا مرتفعة للغاية، ولا يملك أهالي القرية القدرة المالية على تحمل هذه التكاليف.

وعود بتغطية الحاجة

رغم تنفيذ المجلس المحلي العديد من المشاريع وتركيب منظومات طاقة شمسية في المدينة والقرى، فإن هناك نقصًا في المياه، إذ تحتاج بعض القرى إلى حفر آبار جديدة وتركيب منظومات طاقة شمسية لضمان توفير المياه بشكل مستدام.

المتحدث الرسمي باسم المجلس المحلي، زياد موسى ملكي، قال إن المجلس نفذ 20 مشروعًا للطاقة الشمسية مع حفر عدة آبار لتوفير المياه، بالتعاون مع "الحكومة المؤقتة" والمنظمات.

وذكر ملكي لعنب بلدي أن المجلس لديه خطة متكاملة لحل مشكلة المياه، إذ انخفضت حاجة الريف بنسبة كبيرة مقارنة بعام 2023، بفضل تنفيذ مشاريع الطاقة الشمسية في المنطقة.

وأضاف أن زيادة تكاليف نقل المياه من قبل أصحاب الصهاريج ترجع إلى ارتفاع أسعار المحروقات وانحسار عملهم في الفترة الماضية، كونه تم تغطية أكثر من 50% من حاجة الريف.

وأشار إلى أن المياه حق لجميع السكان، وأن المجلس المحلي سيعمل على إيجاد حلول فعالة لكل القرى، بما في ذلك الشراكة مع بعض المنظمات لحفر آبار مياه جديدة صالحة للشرب.

ويعتمد 60% من سكان الريف على مياه الشرب من آبار علوك، التي تحتوي على 30 بئرًا وخط جر رئيس بقطر 1200 ملمتر، وتتهم "قسد" بقطع الكهرباء عن هذه الآبار ما أدى إلى توقفها، وتسبب في أزمة حادة بإمدادات المياه لريف رأس العين ومحافظة الحسكة.

الاشتباكات في دير الزور
النقاط والضحايا وحركة النزوح

25 مدنيًا قتلوا

34 مدنيًا أصيبوا

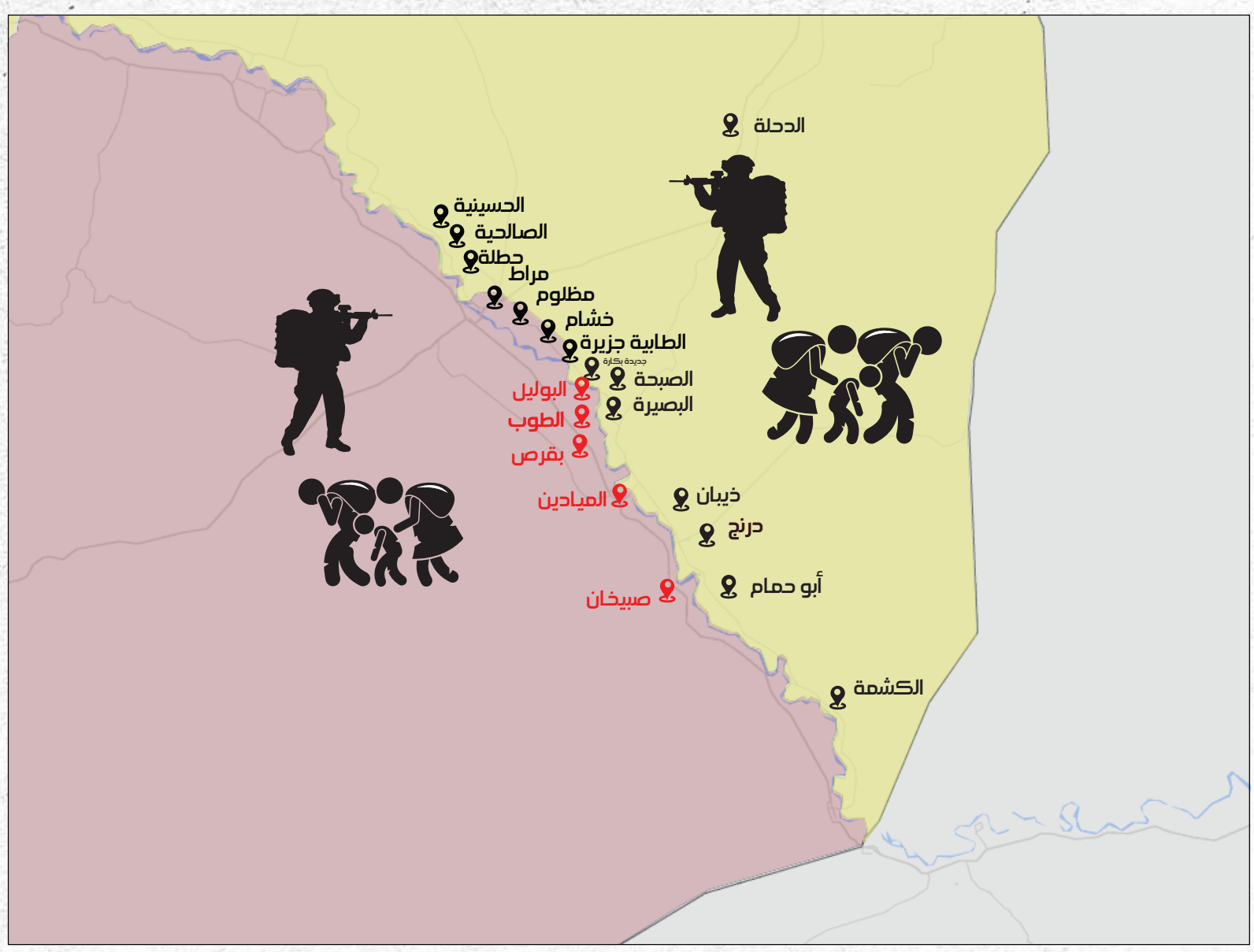

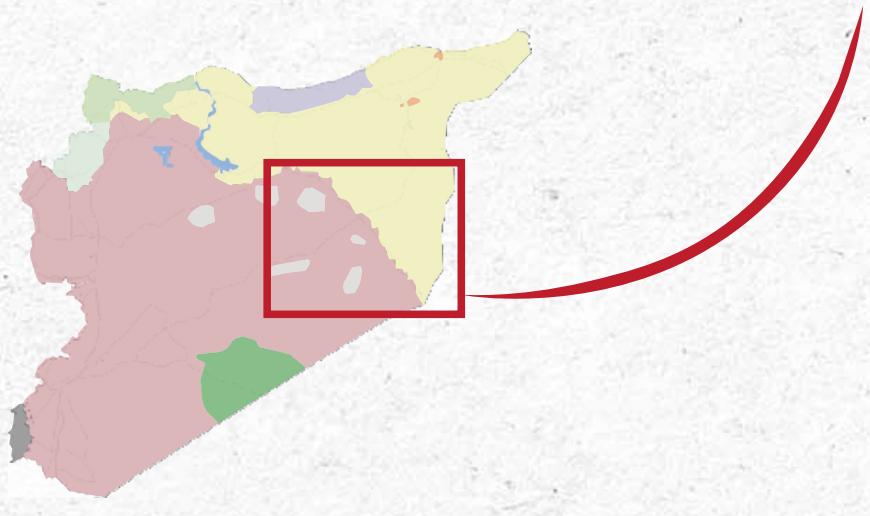

مناطق سيطرة قوات النظام السوري

مناطق سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)

المصدر:
مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة – "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" – مراسل عنب بلدي

EnabBaladi.net

عيد الصحافة السورية بحضور الأسد وغياب مملوك

علي عيد

لم يكن ينقصهم سوى حضور علي مملوك، وهم يحتفلون يوم 15 من آب الحالي بالذكرى الـ50 لتأسيس "اتحاد الصحفيين" في سوريا، فقد حضرت بثينة شعبان، مستشارة الإعلام في القصر، وصاحبة المقولات الشهيرة التي شقّت صفّ المجتمع السوري طائفيًا، وأهمها تبريرها مجزرة الكيماوي بالغوطة، وقولها على قناة "سكاي نيوز" الأمريكية، في 5 من أيلول 2013، "إنهم (المعارضة) خطفوا أطفالاً وبالغين من القرى الساحلية ونقلوهم إلى هناك لقتلهم".

وبالمناسبة، إن كنتم ما زلتم تذكرون، هناك مذكرة قبض صدرت في لبنان بحق مملوك وشعبان، في تشرين الأول 2012، في قضية زميلهما، الوزير السابق ميشال سماحة، على خلفية اعترافاته بالتنسيق معهما لتنفيذ تفجيرات في لبنان.

وربما يزيد شعور الصحفيين بالحرية أكثر فأكثر، المطالعة التي نشرتها وزارة الإعلام حول يوم "عيد الصحافة السورية" المستحدث، قائلة "إن 15 من آب 2006 اليوم التاريخي للصحافة السورية، يوم زار السيد الرئيس بشار الأسد المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين ليكون يوم انطلاقة الصحافة السورية وعيدًا رسميًا للصحفيين بما تعنيه الكلمة، والذي جاء متزامنًا مع انتصار المقاومة اللبنانية على كيان الاحتلال الإسرائيلي".

لكن من نكد أعياد الصحافة في كنف النظام، أن لا حرية، ولا استقلالية، ولا مسؤولية، ولا قدرة على الوصول إلى المعلومة، ولا حتى أمن وظيفي.

في احتفالهم، لم يتذكر المتحدثون مئات الصحفيين الذي قتلوا واعتقلوا وأصيبوا في الجانبين، ولا الآلاف من الصحفيين الهاربين من "ديمقراطية" وسعة صدر النظام الأمني، وإيمانه بحرية الكلمة، والتزامه بنصوص الدستور المعنية بالحريات العامة وحرية التعبير.

وأكثر من ذلك، لا ذكر لحقوق الصحفيين المادية المتردية، أو التشريعات والقوانين التعسفية التي كبّلت عمل الصحفيين وكسرت أقلامهم.

وكان همّ الاحتفال تكريس رداءة "اتحاد الصحفيين" بوضعه الحالي، وترويج كذبات إنجازاته، حين يقول رئيسه المعيّن دون إرادة ديمقراطية، إن الاتحاد "انطلق لمرحلة جديدة خارجيًا عندما انتسب للاتحاد الدولي للصحفيين عام 2017 قاطعًا الطريق على تشكيلات صحفية هلامية تريد أن تتحدث باسم الصحفيين السوريين"، قاصدًا "رابطة الصحفيين السوريين"، التي تضم المئات الذين يفترض أنهم من زملائه، هذا لو كان يؤمن بالزمالة والمهنية ومبادئ النقابات ودورها كمنظمات مجتمع مدني، هدفها مواجهة السلطة لا ممالأتها.

كنت ممثلًا لـ"رابطة الصحفيين" عندما أصبحت "الرابطة" عضوًا في الاتحاد، كما مثلتها في "كونجرس" الفيدرالية الدولية (الاتحاد الدولي للصحفيين) في تونس، بين 11 و14 من حزيران 2019، وخاطبت رئيس "اتحاد الصحفيين" والوفد القادم من دمشق معربًا عن تمنياتي لو أستطيع أخذهم بالأحضان بعد هذه السنوات من التباعد، لولا خوفي أن يلحقهم الأذى بجريمة احتضانهم صحفيًا سوريًا كان بينهم حتى خلال السنتين الأُوليين من انطلاق الثورة.

كنت ممن رجوا زملاء لهم، عام 2011 وبعده، ألا يتحولوا إلى جزء من الحل الأمني وإلى نافخين في كير الحرب، لكننا جوبهنا بتهمة العمالة.

أذكر أنني طلبت من اتحاد "دمشق" يومها أمام وفود من نحو 180 دولة، أن يقول كلمة في الدفاع عن صحفيين معتقلين، وبينهم صحفي عضو في إحدى لجان هذا الاتحاد (لجنة الإعلام الإلكتروني)، اعتقل بسبب استطلاع رأي يتحدث عن "أزمة الغاز" في البلاد، وجاءت الإجابة منه بخطبة عصماء يتغزل فيها بـ"سيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد"، وكأنه يقول "كاد المريب أن يقول خذوني".

كيف يؤمن بالحرية وبعيد الصحافة من لا يؤمن أو لا يعي دورها، وينكر تضحيات وعذابات الآلاف من الإعلاميين السوريين، بل يذهب بالإنكار إلى حدّ توجيه تحية لمن أسماهم "شهداء الإعلام السوري (...) الذين كانوا جنبًا إلى جنب وكتفًا بكتف مع الجيش العربي السوري"، وكأن الاصطفاف إلى جانب قوى الحرب، وأولاها الجيش الذي حوّل البلاد إلى ساحة تصفيات وارتكب المجازر، هو مسؤولية وهدف الصحافة والإعلام.

وكيف يؤمن بالسلام من ما زال يمارس السياسة في عمل النقابة، ويشيطن من يفترض أنه زميله في المهنة والهمّ والمسؤولية.

الحديث عن احتفالات الصحافة في دمشق لا ينبغي أن يمسّ زملاءنا القابضين على جمر وجودهم في بلد لا تتسامح فيه السلطة مع الرأي الحرّ، وهم كثر، حسب زعمي.

كان أولى في ذكرى تأسيس "اتحاد الصحفيين السوريين" أن يوجد بين المحتفلين من يقول تعالوا ننه عذابات السوريين، تعالوا نبعث دور الصحفيين الحقيقي من جديد، تعالوا نقل إننا أبناء وطن واحد، وإن من فرقتهم السلطة لا ينبغي للصحافة إلا أن تسعى لتجميعهم وتوحيد قواهم، هذا إن كان الهدف الصحافة والحريات، والأمر ليس كذلك.

في مكتبة "الأسد"، حيّا المحتفلون "الأسد"، في عيد صحافة أوحى به "الأسد" وغابت حرية الكلمة.. وللحديث بقية.

الأولمبياد والسلام المفقود

إبراهيم العلوش

مئات ملايين البشر تابعوا أولمبياد باريس 24، وكانت رسائل السلام تتعالى من ملاعبها، ومن الروح الرياضية التي يتعامل بها رياضيو العالم مع بعضهم، عكس الكثير من العسكر والسياسيين ورجال الدين الذين يعتبرون إلغاء الآخر هو هدفهم الأوحد.

انعقدت أولمبياد باريس بين 26 من تموز الماضي و11 من آب الحالي، ولكن حرب الإبادة في غزة لا تزال مستمرة، ولا تزال حرب الأسد على السوريين تتقلب ضدهم بأشكال دولية متعددة، وكذلك الأمر في السودان الذي نشهد فيه انكشاف الأكاذيب عن الشرف والمروءة مع حرب اغتصاب النساء بين الأطراف السودانية، التي عبرّت عن مكنونات من الأحقاد العسكرية والسياسية وشهية وحشية للشبق الجنسي.

تحدث العالم عن مشاهد المثلية ولوحة العشاء الأخير لدافنشي في حفل الافتتاح، واعتبرها الكثيرون انتهاكًا للدين المسيحي، متناسين أن تقليد العشاء ورسم اللوحات عنه أقدم من المسيحية، إذ توجد لوحات وثنية تتحدث عن نفس الثيمة، وهذا ليس دفاعًا عن الخطأ الذي تم ارتكابه واعتذرت عنه إدارة تنظيم حفل الافتتاح، وإنما تعبير عن رفض تضخيم حجم الموضوع ومحاولة جعله يطغى على رسائل السلام التي يرسلها الأولمبياد.

في فرنسا، ورغم الخلافات العميقة التي خلفتها إعادة انتخاب مجلس نواب جديد، أعلنت الأحزاب والحكومة الفرنسية عن هدنة فيما بينها احترامًا للأولمبياد الذي عاد لزيارة فرنسا بعد مئة عام من حلوله الأول ضيفًا على باريس في العام 1924، وأثبت الفرنسيون أنهم قادرون على جذب أنظار العالم وجعل عاصمتهم تتقدم في مكانتها كملتقى للسلام، وحصد الفرنسيون 64 ميدالية منها 16 ذهبية، وهذا إنجاز أولمبي لم يحصلوا عليه منذ العام 1900.

في بداية الأولمبياد، تم وأد عملية إرهابية استهدفت خطوط الاتصال بين القطارات السريعة، وكانت جريمة منظمة لم تتبين الأطراف الضالعة فيها، كما لم تكن منظومات التطرف الديني الإسلامي ضالعة في هذه العملية النوعية كما يبدو حتى الآن.

مشاهدة المنافسات الرياضية صارت برنامجًا يوميًا لمعظم العائلات في كل العالم، وقد تم بث هذه المباريات في فرنسا مجانًا على القنوات الحكومية (TF2-3-4-5)، واشتد الضغط على القنوات، حتى إن بث حفل الافتتاح شكّل ضغطًا كبيرًا على شبكة الإنترنت، وصرنا ننتظر المقاطع متأخرة ونحن نتابع عبر ساعات طويلة استعراض السفن في نهر السين وفرحة اللاعبين، والمشاهد الفنية التي استعرضت الشخصيات الرياضية وأهم النساء في تاريخ فرنسا، وكان مشهد الملكة ماري أنطوانيت وهي تحمل رأسها المقطوع من المشاهد الجميلة والمشغولة خارج البعد الوحشي، لكنه أثار سخط بعض العائلات الملكية الاستبدادية التي ما زالت متشبثة بإرث الملوك والحكام المتعنتين والمسيطرين على شعوبهم، ويرفضون التحول إلى أشكال الحكم الدستورية.

العرب حققوا الكثير من التقدم في المنافسات، وحصدوا 17 ميدالية، 7 منها ذهبية، ورغم أن هذه الإنجازات أقل من المأمول، فإنها تذكّر العالم بوجود مواهب عربية رغم محاولات وأدها من قبل الأنظمة الدكتاتورية التي تتجاهل المواهب الفردية والجماعية، وتعطي الأولوية للولاء والطاعة. ولا عجب أن نجد أن السباح الفرنسي ليون مارشان نال وحده 5 ميداليات ذهبية بينما 22 دولة عربية مشاركة لم تستطع أي منها تحقيق مثل هذا الإنجاز.

ومن الفرق التي لفتت أنظار العالم فريق اللاجئين الذين فروا من بلدانهم، ومنها سوريا، ولكنهم لم يتنازلوا عن مواهبهم، إذ ضم الفريق 36 رياضيًا وفازوا للمرة الأولى بميدالية برونزية، وسيشارك فريق آخر في الألعاب البارالمبية المخصصة لذوي الإعاقة اعتبارًا من الأسبوع المقبل.

الشعوب الإفريقية استطاعت أن تنافس على الكثير من الرياضات، وخاصة في ميدان الجري والقفز والملاكمة والجمباز، إذ كانت بعض هذه الرياضات حكرًا على روسيا وأوروبا الشرقية والصين والدول الأوروبية، وكانت بطلة الماراثون الهولندية من أصل أثيوبي سيفان حسن التي تم تكريمها في حفل الاختتام مدار نقاش وإعجاب شديدين، خاصة أنها ارتدت حجابها الأحمر في أثناء التتويج، بينما تمنع السلطات الفرنسية لبس الحجاب على لاعباتها، وهذا ما أثار نقاشات كثيرة داخل فرنسا وخارجها.

واستطاع السويدي أرماند دوبلانتيس القفز بالعصا الطويلة (أو الزانة) وإحراز رقم عالمي (625 سم) وسط تعاطف منافسيه معه، وتعاطف الجمهور، وصار نجمًا يعبرّ عن روح الشجاعة وهو يتحدى الحواجز، ورغم فشله في مرتين، فإنه في المحاولة الثالثة قفز الرقم القياسي وسط تهليل العالم له.

انتابتنا روح متفائلة مع التضامن الكبير الذي لقيه هذا اللاعب، وأعجبنا بشجاعته التي نتمنى أن يتم تعميمها على السياسيين والعسكر ليقفزوا فوق الأحقاد والصعوبات، ويصنعوا السلام الذي ينتظره المعذبون في الأرض، وخاصة الغزيين والسودانيين والسوريين الذين صاروا موضوعًا للعنصرية والحرمان من أساسيات الحياة، ولعل العالم يحقق السلام الذي ترمز له الألعاب الأولمبية وهي تطوف بشعلتها على الدول والقارات، وتذكّرهم دائمًا بأهمية التوقف عن الحروب التي تندلع كل يوم وكل ساعة.

النظام عالق بين حليفيه

روسيا وإيران..
تدافع اقتصادي عسكري في سوريا

عنب بلدي
ملف العدد 652
الأحد 18 آب 2024

إعداد:
حسن إبراهيم
حسام المحمود
هاني كرزي

باتت الساحة السورية، مؤخرًا، مسرحًا لملامح تنافس بين روسيا وإيران، الحليفين الأكثر قربًا للنظام السوري، واللذين يعتبران من أبرز أسباب بقائه النسبي على رأس السلطة المعترف بها دوليًا في دمشق.

هذا التنافس تجاوز ميدان السياسية وظهر في الجانب الاقتصادي والعسكري، ليرسم ملامح تدافع وتزاحم على أرض سوريا التي باتت منذ سنوات رهن سيطرة حليفين أو كما يسميهما النظام "صديقين" وأدواتهما.

ويبدو واضحًا مستوى حرج النظام من خلال عدم فاعليته في "محور المقاومة" خلال الأسابيع القليلة الماضية، بحسب ما تشير إليه التحليلات السياسية، مع ظروف حرب غزة، ثم عمليتي اغتيال رئيس المكتب السياسي لـ"حركة المقامة الإسلامية" (حماس)، إسماعيل هنية، في طهران، والقائد العسكري لـ"حزب الله" اللبناني، فؤاد شكر، في معقل الحزب بضاحية لبنان الجنوبية، وقبلها سقوط أطفال ضحايا من دروز الجولان السوري المحتل، جراء انفجار صاروخي استهدفهم، وتتقاذف إسرائيل و"حزب الله" التهم بالمسؤولية عن هذا الانفجار.

هل تضغط روسيا على النظام السوري لإحراز تسوية في العلاقات مع تركيا، أو لمنع انخراطه في صراع إقليمي تدفع إليه إيران، وهل تقابل الأخيرة ذلك الضغط بضغط موازٍ أو تهديد، وماذا عن التغلغل الاقتصادي للطرفين، وأثمان التخارج من أحدهما وأثره على النظام؟

في هذا الملف، تسلط عنب بلدي الضوء على ملامح التنافس والتدافع بين موسكو وطهران على الملف السوري، وتقاسم كعكته سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، وتناقش مع خبراء وباحثين متخصصين طبيعة هذا التدافع ومآلاته.

المرشد الأعلى لـ"الثورة الإسلامية في إيران" علي خامنئي والرئيس الروسي فلاديمير بوتين في طهران – 19 من تموز 2022 (AP)

دفّة المشهد السياسي السوري بيد موسكو وطهران

إذا كان البلدان اللذان سجلا حضورًا داعمًا ومتواصلًا للنظام السوري، يرتبطان بحالة تحالف واضحة في ملفات سياسية خارج الحلبة السورية، فالأمر بدأ يختلف فيما يتعلق بالتعامل مع الملف السوري، ليتعدى العلاقة مع دمشق، إلى المسارات السياسية ومفارق الطرق التي تفرضها التحركات الإقليمية، وحالة النشاط السياسي المكثف مؤخرًا، ما وضع رئيس النظام السوري، بشار الأسد، في قلب صراع غير محسوم النتيجة، يتعامل معه بـ"تأمل عن بعد"، في غزة، وعلى أعتاب مسار سياسي لتطبيع علاقات مع بلد جار ذي وزن إقليمي وحضور عسكري مباشر وغير مباشر شمال غربي سوريا.

هذه الملفات التي تشغل مساحات واسعة من التغطيات الإخبارية والتحليلية على مستوى العالم، باعدت شيئًا ما بين "الصديقين اللدودين" بوجهات النظر فيما يتعلق بسوريا وعلاقتها مع جيرانها والوضع الإقليمي.

> التنافس الروسي– الإيراني في سوريا لم يصل بعد إلى مرحلة تشكّل تهديدًا لجوهر التعاون التنافسي بين روسيا وإيران، لا سيما أن الصراع في سوريا لم ينتهِ، كما أن العوامل الأخرى، كالوجودين التركي والأمريكي، لا تزال محفزًا قويًا للروس والإيرانيين للحفاظ على شراكتهما في سوريا.
>
> محمود علوش
> باحث في العلاقات الدولية

إيران بعيدة عن تطبيع أنقرة– دمشق

من أبرز ملامح تباين وجهات النظر هذه، مسار التطبيع التركي مع النظام السوري، الذي عاد إلى الواجهة بعد إعلان روسي رسمي في كانون الثاني الماضي، عن انهيار المسار في خريف 2023، بسبب تمسك طرفي المسار (تركيا والنظام السوري) بشروطهما أو بوجهات نظريهما حيال تطوير العلاقات بينهما.

المسار الذي انهار رغم دفع روسي ومباركة إيرانية حوّلته إلى "رباعية" عقدت اجتماعات متكررة على مستوى وزاري واستخباراتي، عاد إلى الواجهة على مستوى التصريحات الذي ذهب بها الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، بعيدًا، ملوحًا بإمكانية تحديد "لقاء قريب" يجمعه مع الأسد.

وما اختلف في هذه العودة التي بدأها أردوغان نهاية حزيران الماضي، بالحديث عن تطوير العلاقات مع سوريا "بنفس الطريقة التي عملنا بها في الماضي"، غياب ملموس للجانب الإيراني عن نشاط متسارع في وتيرة التصريحات، وما رافقها من دعم روسي حافظت عبره موسكو على موقعها الراعي للمسار، وصولًا إلى "تكهنات إعلامية" بإمكانية عقد لقاء بين الأسد وأردوغان في موسكو، قبل انحسار وتيرة التصريحات التي تتنبأ بموعد اللقاء، في ظل تمسك النظام السوري بشرط الانسحاب العسكري التركي من سوريا، وعودة الشروط التركية إلى الواجهة مجددًا.

في هذه المرحلة، التي كانت إيران لم تلملم بعد جراحها خلالها، إثر مقتل رئيسها ووزير خارجيته ومجموعة مسؤولين رفيعي المستوى في 20 من أيار الماضي، تراجع الدور الإيراني بوضوح في هذا الجانب، ومع ذلك، أجرى وزير الخارجية الإيراني بالوكالة، علي باقري، زيارة إلى سوريا مطلع حزيران الماضي، دون تطرق علني لمسار التقارب، قبل زيارة كبير مستشاري وزير الخارجية الإيراني، علي أصغر خاجي، إلى دمشق، في 22 من تموز الماضي، مقدمًا أول تعليق إيراني رسمي على مسار العلاقة بين أنقرة ودمشق.

وتجلى الموقف الإيراني بترحيب أصغر خاجي بتحقيق تقدم في مسار العلاقات بين أنقرة ودمشق، وتعبير عن "سعادة إيران" باستئناف المباحثات مع آمال بتحقيق تمهيدات مناسبة وجيدة لهذه الاجتماعات للوصول إلى تطور في علاقات الجانبين.

"لطالما دعمنا هذا المسار (...) والاجتماعات الأولى بين سوريا وتركيا كانت في طهران ثم استمرت بشكل رباعي، ونحاول عقد هذه الاجتماعات بشكل أكبر للوصول إلى تطور في علاقات تركيا وسوريا"، أضاف المسؤول الإيراني.

وجاءت هذه التصريحات لترد بشكل غير مباشر على ما أوردته صحيفة "ديلي صباح" التركية في اليوم نفسه، حين أشارت إلى استبعاد الدور الإيراني من المسار، خلال حديثها عن لقاء متوقع بين أردوغان والأسد بموسكو، في آب الحالي، مع إمكانية دعوة رئيس وزراء العراق، محمد شياع السوداني، وترجيحات بعدم دعوة إيران للاجتماع الذي يمكن أن يتولى الرئيس الروسي التوسط بمحادثاته، رغم عدم صدور أي تصريحات رسمية حول تحديد موعد اللقاء ومكانه، في ظل الحديث عن تحضيرات متواصلة، قبل الإشهار المتبادل للشروط وتراجع وتيرة التصريحات.

اعتبرت الصحيفة التركية حينها ما قرأته استبعادًا لإيران، أنه قد يكون مؤشرًا قويًا على الخلافات المستمرة والمنافسة بين موسكو وطهران بشأن سوريا، ومستقبل البلاد بعد الحرب، وأرجعت أسباب الخلافات بين موسكو وطهران إلى حذر روسي دائم من قوة الميليشيات الموالية لإيران غير المقيدة والمتنامية في سوريا ومستقبلها بعد الحرب، مع وجود خلافات حول القيادة والعمليات العسكرية واستخدام القواعد الإيرانية وموقف طهران المتشدد في المحادثات، بما في ذلك صيغة "أستانة" والنهج الإيراني تجاه إسرائيل.

وتسببت المنافسة على العقود المتعلقة بالطاقة والموارد الاقتصادية وإعادة إعمار سوريا في حدوث بعض الاحتكاكات بين إيران وروسيا، وفق الصحيفة التي اعتبرت في مقالها أن التحرك الروسي لدعوة العراق مع استبعاد إيران، "يضرب عصفورين بحجر"، فيمكن قراءته كمحاولة لدق إسفين بين بغداد وطهران، ومن شأنه أن يعوض عن سرقة المشهد من السوداني (رئيس الوزراء العراقي)، الذي كان يهدف بنفسه إلى استضافة المحادثات الشخصية الأولى بين أردوغان والأسد، وإظهار قوة العلاقات بين موسكو وبغداد.

موسكو وطهران.. تعاون تنافسي

بعد اغتيال إسرائيل رئيس المكتب السياسي لـ"حركة المقاومة الإسلامية" (حماس)، في 31 من تموز الماضي، خلال زيارة كان يجريها إلى طهران، سارع المسؤولون الإيرانيون إلى تصريحات ملؤها التهديد والتلويح بالرد، مع إشارة إلى احتمالية استخدام سوريا واليمن والعراق كمنطلق لهجمات تستهدف محيط تل أبيب وحيفا، قبل استبعاد سريع لسوريا من المشهد، ترجمه ما ذكرته وكالة "رويترز"، في 1 من آب الحالي، عن اجتماع كبار المسؤولين الإيرانيين مع قادة الميليشيات وممثلي حلفاء إيران من لبنان والعراق واليمن، دون تطرق لحضور أذرع إيرانية من سوريا.

الاستبعاد الإيراني الصامت الذي سلك مساره أمين عام "حزب الله" اللبناني في خطابه الأول بعد اغتيال أحد أبرز قادة الحزب، فؤاد شكر، باستهداف إسرائيلي في ضاحية بيروت الجنوبية، في 30 من تموز الماضي، خالفه نصر الله في خطابه الثاني التأبيني لفؤاد شكر، في 7 من آب الحالي، حين طالب إيران وسوريا بتوفير الدعم المعنوي والسياسي والتسهيلات للمعركة ضد إسرائيل.

التهديدات الإيرانية والإقحام المحتمل لسوريا في الرد نفسه قاطعها الرئيس الروسي حين طلب من المرشد الأعلى الإيراني، علي خامنئي، "رد فعل منضبطًا" على اغتيال هنية في طهران، إذ نقلت "رويترز"، في 6 من آب، عن مصدرين إيرانيين كبيرين، أن بوتين نصح خامنئي بعدم شن هجمات على المدنيين الإسرائيليين، بموجب رسالة جرى تسليمها في 5 من آب، من قبل الأمين الأعلى لمجلس الأمن الروسي، سيرجي شويغو، خلال اجتماعات مع كبار المسؤولين الإيرانيين، بينما لا تزال إيران تدرس ردها على عملية الاغتيال.

الحديث عن خلافات إيرانية- روسية تجاوز التحليلات والمواد الصحفية، فاستدعى نفيًا روسيًا رسميًا جاء على لسان نائب وزير الخارجية الروسي، أندريه رودينكو، الذي أكد في مقابلة مع وكالة "تاس" الروسية، في 23 من تموز، أن العلاقات الثنائية بين روسيا وإيران ترتكز على أسس من الصداقة المتينة، ولا يمكن لأحد أن يدق إسفينًا بين موسكو وطهران، كما اعتبر أن إيران كدولة ذات سيادة لها الحق في متابعة سياستها الخارجية كما تراه مناسبًا.

> يصعب تحديد لمن ستكون الكلمة الأخيرة في سوريا بين موسكو وطهران، لكن يبدو أن روسيا، بفضل وجودها العسكري القوي وعلاقاتها الدبلوماسية الأوسع، قد تكون أقدر على توجيه مسار الأمور، لاعتمادها استراتيجية توازن دقيق بين مختلف الأطراف، مما يجعلها وسيطًا لا غنى عنه في المشهد السوري.
>
> ديمتري بريجع
> محلل سياسي روسي

وبحسب المسؤول الروسي، فإن موسكو تفترض أن العلاقات مع طهران تتمتع بأساس متين من الصداقة والجيرة، وليست عرضة للتأثير الخارجي رغم محاولات الخصوم "اللعب بقذارة ودق إسفين بين البلدين".

الباحث في العلاقات الدولية محمود علوش، أوضح لعنب بلدي أن العلاقة بين روسيا وإيران في سوريا قائمة على مبدأ التعاون التنافسي، فهناك تقاطع مصالح استراتيجي بين البلدين في دعم النظام خلال الثورة السورية، لكن عوامل المنافسة أصبحت مُهيمنة بشكل أكبر على تشكيل هذه العلاقة بعد تحول مسار الحرب والعمليات العسكرية لمصلحة الأسد، وهو تحول طبيعي وفق رأي الباحث.

وبحسب علوش، فإن سوريا تشكّل نقطة ارتكاز للسياسة الروسية في الشرق الأوسط، ولدى الروس مصلحة في الحد من ارتدادات حرب غزة عليها، ما يفسر ما تواجهه إيران من صعوبة استثمار وجودها في سوريا بإطار انخراطها بالوكالة في الصراع الراهن.

ويعتقد الروس أن مشروع التطبيع بين أنقرة ودمشق يُساعد روسيا في تعزيز رؤيتها لحل الصراع في سوريا، في الوقت الذي بدأت تتشكل به قناعة إيرانية حيال حدود قدرة طهران على توظيف الساحة السورية في إطار صراع الوكالة مع إسرائيل، كما يرى الباحث.

تردد إيراني أمام روسيا

اعتبر المحلل السياسي الروسي ديمتري بريجع، أن التنافس الروسي- الإيراني موجود في الشرق الأوسط، فإيران تعتمد على الملف العقائدي والديني، ولروسيا مصالح اقتصادية وتجارية، وهذا تباين واضح في سياسة البلدين.

وأوضح بريجع لعنب بلدي أن الحضور الروسي في سوريا لا يلقى اعتراضًا خليجيًا أو أردنيًا أو تركيًا، وهناك تفاهمات في هذا الإطار، وروسيا ستحافظ على قواعدها في سوريا، كما أن التنافس مع طهران سيبقى قائمًا، إذ تمتلك طهران ميليشيات في سوريا تحت مسمى "محور المقاومة والممانعة"، وهذا يختلف عن السياسة الروسية التي كانت تحظى بتفاهمات مع إسرائيل، بما في ذلك تجنب الصدام في سوريا، وإتاحة المجال أمام إسرائيل لضرب ميليشيات إيران في سوريا، مع التأكيد على عدم رغبة أي طرف بزيادة النفوذ الإيراني في سوريا.

وفيما يتعلق بالموقف الروسي من الرد الإيراني المحتمل بعد اغتيال إسماعيل هنية في طهران، أوضح المحلل السياسي الروسي أن موسكو تبدو حريصة على ضبط هذا الرد، بحيث لا يؤدي إلى تصعيد قد يخرج عن السيطرة، لا سيما إذا جرى استخدام سوريا كمنصة للرد، ما يعكس رغبة موسكو بالحفاظ على الاستقرار في سوريا خدمة لمصالحها الاستراتيجية.

وفي ظل تصاعد التوترات في المنطقة، زار الأسد موسكو، في 25 من تموز الماضي، دون إعلان مسبق، والتقى بوتين، الذي تحدث عن نقاش العلاقات الثنائية والوضع في المنطقة الذي يميل إلى التصعيد، وهو ما ينطبق على سوريا أيضًا، وفق ما نقلته وسائل إعلام روسية.

ويمكن الإشارة إلى الدعم الروسي المتواصل للنظام السوري، والذي يظهر من خلال زيارات الأسد المتكررة لموسكو، ما يبرز روسيا كلاعب رئيس في سوريا، مقارنة بإيران التي ورغم وجودها القوي، تبدو أحيانًا مترددة في اتخاذ خطوات قد تضعها في مواجهة مباشرة مع مصالح روسيا، بحسب ديمتري بريجع.

من اليمين، الرئيس الإيراني السابق إبراهيم رئيسي، ورئيس النظام السوري بشار الأسد، والمرشد الأعلى بإيران علي خامنئي في طهران – 8 من أيار 2022 (AP)

تنافس أم تقاسم اقتصادي؟

بعد عام 2011، بدأت روسيا وإيران التزاحم في سوريا لتحقيق مكاسب اقتصادية، مقابل تقديمهما الدعم العسكري للنظام، وتنامت تلك المكاسب تدريجيًا ليضع "الحليفان" قبضتهما على موارد وقطاعات اقتصادية حيوية.

ووقع النظام السوري مع إيران بين عامي 2011 و2024 ما لا يقل عن 126 اتفاقية في مختلف القطاعات، مثل الطاقة والتجارة والصحة والتعليم والزراعة والصناعة والاتصالات والتمويل وغيرها، وفق مركز "جسور للدراسات".

ومن بين الاتفاقيات الكلية الـ126، تم تنفيذ 43 اتفاقية، بينما لا تزال 47 قيد التنفيذ، وبلغ عدد الاتفاقيات تحت التنفيذ الجزئي أو المتقطع 25 اتفاقية، أما الاتفاقيات التي لم يتم تنفيذها فهي 4 اتفاقيات، بينما بلغ عدد الاتفاقيات غير المعروف مصيرها 7 اتفاقيات.

تلويح بالديون

بالتزامن مع الحديث عن تزاحم وخلاف روسي إيراني في سوريا، لوّحت طهران بورقة اقتصادية اعتبرها خبراء أنها أداة ضغط على النظام، كانت في 8 من تموز الماضي، حين أرسل الرئيس الإيراني المؤقت حينها، محمد مخبر، "مشروع اتفاقية التعاون الاستراتيجي طويل الأمد مع سوريا" إلى البرلمان الإيراني للتصديق، قبل تسليم مهامه لمسعود بزشكيان.

في المقابل، لم ترسل حكومة النظام السوري حتى الآن نص الاتفاقيات التي أبرمتها مع إيران إلى مجلس الشعب (البرلمان السوري).

ويتكون مشروع اتفاقية التعاون الاستراتيجي من مقدمة و5 مواد، وبحسب الفقرة "2" من المادة "5"، فإن مدة الاتفاقية محددة بـ20 عامًا قابلة للتمديد، "حتى وفاء سوريا بالتزاماتها، وسداد الديون المستحقة عليها"، والمتعلقة بالخطوط الائتمانية، وفقًا لما أوردته وكالة "مهر" الإيرانية.

وفي شباط 2017، وقع النظام السوري على اتفاقية "التعاون الاقتصادي الاستراتيجي طويل الأمد مع إيران"، في مقابل الحصول على النفط بشكل منتظم، في وقت لا يعرف فيه حجم الديون الإيرانية للنظام، بينما تشير تقديرات غير رسمية إلى أنها تقارب 50 مليار دولار أمريكي.

الباحث المساعد في مركز "جسور للدراسات" عبد العظيم المغربل، قال إن من أبرز الأسباب التي تحول دون دفع العلاقة بين طهران ودمشق إلى الأمام، التنافس مع موسكو، التي يعتبرها النظام السوري حاليًا أكثر قدرة على تثبيت وجوده من إيران، بينما يعتبر النظام وجود طهران مهددًا حاليًا ولا يريد أن يربط مصيره بمصيرها.

وأضاف المغربل المختص في الشأن الاقتصادي لعنب بلدي، أن تعزيز الوجود الاقتصادي الإيراني في سوريا سيؤدي بالمقابل إلى تراجع استثمارات الدول العربية في مناطق سيطرة النظام، ما يؤثر على مسار التطبيع العربي مع الأسد، ويقلل فرصه بالاستفادة من هذه الاستثمارات في تعزيز اقتصاده، إلى جانب عدم قدرة النظام السوري أصلًا على تنفيذ الاتفاقيات الكبيرة مع إيران بسبب ضعف إمكانياته.

من جانبه، المحلل الاقتصادي رضوان الدبس، قال لعنب بلدي، إن من الأسباب التي تؤثر على العلاقة الاقتصادية بين طهران ودمشق، أن إيران فُرضت عليها عقوبات شديدة من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، والنظام الاقتصادي الإيراني نظام متهالك نتيجة العقوبات والحروب وتوسع طهران في أكثر من دولة على حساب اقتصادها، إضافة إلى أن أغلبية الشعب السوري لا يتقبل المنتجات الإيرانية.

وأشار الدبس إلى أن إيران لا تمتلك صناعات أو خبرات جيدة، وتعمل وفق مبدأ ثوري ديني وليس ثوريًا صناعيًا ولا تجاريًا، فكم اتفاقية وقعتها إيران في سوريا، لكن أغلبها كان حبرًا على ورق.

وفق دراسة لمركز "جسور للدراسات"، فإن عدم تنفيذ بعض الاتفاقيات مرتبط أيضًا بمماطلة النظام، كونه يعلم أن تنفيذ جميع الاتفاقيات سيجعله مرهونًا بشكل كلي لإيران، وهو ما لا يريده، أما الاتفاقيات التي يجري أو جرى تنفيذها فتكون مع شركات إيرانية لا تمتلك وزنًا استثماريًا فاعلًا في السوق، وقد ينحصر عمل معظمها في القيام بعمليات تبييض أموال "الحرس الثوري الإيراني".

ويُلاحَظ وجود سمة عامة صبغت التوجهات الاقتصادية الإيرانية في سوريا، وهي النجاح في إبرام الاتفاقيات مع الفشل في تحويلها إلى واقع، نتيجة ثلاثة عوامل رئيسة، هي المنافسة الروسية، وتأثير العقوبات الغربية، والضعف الاقتصادي في سوريا، وفق دراسة لمركز "الحوار السوري"، عام 2022.

تفوق روسي على إيران

من خلال مقارنة الاتفاقيات الاقتصادية المعلنة التي وقعتها روسيا وإيران مع النظام السوري، يمكن ملاحظة أن موسكو حظيت بعقود استثمارية ذات أهمية كبرى، على عكس إيران التي اهتمت بالكم على حساب النوع، حيث وقعت 126 اتفاقية، 78% منها غير مهمة.

واتخذت إيران مجموعة من الخطوات للهيمنة على الاقتصاد في سوريا، عبر توقيع اتفاقيات تركز معظمها في قطاعات الاتصالات والصحة والتعليم والطاقة والمصارف والزراعة والثروة الحيوانية والكهرباء، إلى جانب الاستيلاء على أراضٍ زراعية، أما محاولاتها للسيطرة على الفوسفات وحقول النفط والغاز فقُوبلت بحضور روسي بارز استحوذ على تلك الاستثمارات.

في المقابل، أبرمت روسيا مع النظام عدة اتفاقيات معظمها كانت بالغة الأهمية، أبرزها كانت في 25 من نيسان 2019، حيث وقعت حينها شركة "ستروي ترانس غاز" (CTG) الروسية الخاصة عقدًا يتيح لها استثمار مرفأ طرطوس لمدة 49 عامًا.

وفي نيسان 2018، حصلت شركة "ستروي ترانس غاز" الروسية على عقد لاستخراج الفوسفات من مناجم "الشرقية" في تدمر، لمدة 50 عامًا، بإنتاج 2.2 مليون طن سنويًا.

بعد هيمنة روسيا على فوسفات تدمر، وقّعت الشركة الروسية نفسها (ستروي ترانس غاز)، في تشرين الثاني 2018، مع "الشركة العامة للأسمدة" في حمص عقدًا لاستثمار ثلاثة معامل أسمدة لـ40 عامًا قابلة للتمديد.

أحدث التحركات الاقتصادية الروسية كان إعلان وزير المالية السوري، كنان ياغي، في حزيران الماضي، إحياء اتفاقية توسيع التعاون والشراكة الاقتصادية مع روسيا، "ما يرتقي بالعلاقات الاقتصادية السورية- الروسية إلى أعلى مستوى"، حين زار موسكو.

يرى الباحث المساعد عبد العظيم المغربل، أن روسيا تهدف من خلال توسيع نفوذها الاقتصادي في سوريا على حساب إيران، إلى إدراكها أهمية الاستعداد لملء الفراغ الذي يمكن أن يحصل في حال تعرضت الاستثمارات الإيرانية في سوريا لاستهداف من قبل إسرائيل، أو في حال تراجع النفوذ الإيراني في سوريا بشكل عام.

وذكر المغربل أن موسكو أيضًا تجد في سوريا ركيزة أساسية لوجودها في أي معادلة سياسية أو عسكرية قد تنشأ في الشرق الأوسط مستقبلًا.

وحول أسباب تفوق روسيا على إيران اقتصاديًا، قال رضوان الدبس، إن روسيا قوة سياسية وعسكرية واقتصادية عظمى، ومدعومة من الصين وكوريا الشمالية وجمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقًا، بينما إيران دولة إقليمية ركيكة، وعليها عقوبات دولية، ونظامها الاقتصادي سيئ، فمن الطبيعي أن تتفوق روسيا عليها اقتصاديًا.

إضافة إلى الأسباب السابقة، ذكر الدبس أن النظام يجد أن من مصلحته التحالف مع روسيا الطرف الأقوى سياسيًا وعسكريًا، لذا يميل إلى منح موسكو اتفاقيات اقتصادية أكثر أهمية وفاعلية من إيران.

تنافس أم تنسيق؟

شهدت الاستثمارات الاقتصادية في سوريا حالة تنافس وتدافع بين روسيا وإيران للفوز بها، وذكر تقرير لمركز "الدراسات الاستراتيجية والدولية" ((CSIS، أن موسكو وطهران تنافستا على عقود بقطاعات الطاقة والفوسفات والزراعة والعقارات في سوريا، وتزايدت حدة التنافس بسبب عدم وجود آلية شاملة لتنسيق الاستثمار بينهما، وفي النتيجة، حصلت روسيا على عقود في قطاعات الفوسفات والنفط والغاز على حساب المصالح التجارية الإيرانية.

بينما اعتبرت دراسة صادرة عن مركز "الحوار السوري"، أن حليفي النظام السوري، روسيا وإيران، ينخرطان في منافسة على النفوذ وغنائم الحرب، وهو ما يتضح من استهداف الطرفين للقطاعات الاقتصادية ذاتها، بدلًا من التنسيق بينهما في الاستحواذ.

يرى عبد العظيم المغربل، أنه منذ بدء التدخل الروسي في سوريا بهدف دعم النظام، حصلت حالة من التنافس والتقاسم للمكاسب الاقتصادية بين روسيا وإيران، وبناء عليه بدأت عملية تقاسم الاستثمارات وفقًا للقطاعات الاقتصادية، حيث التقى الطرفان في الاستثمار ببعض القطاعات مثل الحبوب على سبيل المثال، وتصادما في قطاعات أخرى مثل البترول والثروة المعدنية وغيرهما.

من جهته، قال الباحث في مركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" نوار شعبان، لعنب بلدي، إنه لا يمكن اعتبار ما يجري بين طهران وموسكو في سوريا تنافسًا، إنما هو نوع من العمل على محاور مختلفة، رغم رغبة الطرفين الواضحة بتثبيت وجودهما في قطاعات مختلفة بعيدًا عن الأمن والعسكر.

وفسّر شعبان رؤيته بأنه لو كان هناك تنافس لاستغلت إيران انشغال روسيا بحربها ضد أوكرانيا، وتوسعت أكثر، رغم مساعيها في هذا المجال التي قد لا تعتبر مكثفة، والتي كانت بعيدة عن النفوذ الروسي بسوريا.

> لطالما كانت العلاقة بين روسيا وإيران عسكريًا متوافقة وتتسم بالتوازن وتحقيق المصالح المشتركة في بعض الأحيان، إلا أن العلاقة دخلت في حالات حرجة، كخرق إيران الاتفاق الروسي- الإسرائيلي، الذي وضع روسيا في مأزق كبير مع إسرائيل، لكن موسكو استطاعت بشكل ما الضغط على النظام، والتأثير على جانب العلاقة مع إيران، وهو ما ظهر مع استهداف إسرائيل مواقع إيرانية في سوريا، إذ يشكك بأن النظام هو من سرب معلومات المواقع المستهدفة.
>
> صبا عبد اللطيف
> باحثة مساعدة في مركز "عمران للدراسات"

على الأراضي السورية.. علاقة عسكرية حرجة بين روسيا وإيران

المرشد الأعلى لـ"الثورة الإسلامية في إيران" علي خامنئي (AP)

ثبّت حليفا النظام أقدامهما عسكريًا على الجغرافيا السورية، منذ دخول إيران عسكريًا عام 2013، وبدء التدخل الروسي عام 2015، وخوضهما معارك وتدريبهما مقاتلين وميليشيات وتزويد النظام بالأسلحة والعتاد، وارتكابهما مجازر وانتهاكات بحق السوريين، بضوء أخضر من النظام السوري الذي اعتبر تدخلهما مشروعًا لمحاربة "الإرهاب".
توسع الحضور العسكري للحليفين عبر السنوات، ولم تفلح احتجاجات "مهسا أميني" الداخلية في طهران أو "المبادرة الأردنية" بتقليص النفوذ الإيراني في سوريا، كما لم تكن الحرب الروسية- الأوكرانية التي لا تزال مشتعلة كافية لسحب الروس قواتهم من الأراضي السورية.
تجميد العمليات العسكرية بين جهات السيطرة في سوريا لم يوقف تحركات الروس والإيرانيين، فكل منهما يسعى لمصالحه، فعملا على زيادة الانتشار العسكري أو الحفاظ على حجمه على أقل تقدير، وضمان حضورهما بقوة في المشهد السوري، وبدا لافتًا تحركاتهما في الأشهر القليلة الماضية.
حتى منتصف عام 2024، بلغ عدد المواقع العسكرية الإيرانية في سوريا 529 موقعًا بعد أن كانت 570 موقعًا منتصف عام 2023، ولا تزال هي الدولة صاحبة الانتشار العسكري الأكبر في سوريا مقارنة مع بقية القوى الأجنبية.
في المقابل، زادت روسيا عدد مواقعها العسكرية في سورية خلال الفترة بين منتصف عامي 2023 و2024، حيث ارتفع عددها من 105 إلى 114 موقعًا، وتعود معظم الزيادة في عدد المواقع الروسية التي جرت خلال النصف الأول من عام 2024 لانتشار هذه القوات ضمن عدد من المواقع الجديدة التي انسحبت منها الميليشيات الإيرانية في محافظة القنيطرة، وفق تقرير لمركز جسور للدراسات"".

حضور عسكري بعد "طوفان الأقصى"

خلال الأشهر الماضية، وخاصة بعد عملية "طوفان الأقصى"، تنامى دور روسيا على نحو ملحوظ في إرساء الاستقرار على الحدود بين إسرائيل وسوريا، حيث ثبتت 11 نقطة مراقبة على طول الخط الفاصل مع هضبة الجولان، كما أعادت تسيير دورياتها العسكرية في الجنوب مطلع تشرين الثاني 2023، بعد غياب استمر لأكثر من عام، بدعوى ضمان خفض التوتر في المنطقة بين الميليشيات الإيرانية وإسرائيل.
وصار الجنوب السوري بؤرة صراع على طريق الاشتعال، ومن شأن تعزيز الحضور الروسي جنوبي سوريا أن يزيد الضغط على إيران، أو يساعد على تخفيف وطأة المواجهة الإيرانية- الإسرائيلية جنوبي سوريا، حتى لو لم تتمكن موسكو من استبدال النفوذ الإيراني أو إلغائه، وفق تحليل لمركز "مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط".
وبعد اغتيال رئيس المكتب السياسي لـ"حماس"، إسماعيل هنية، نهاية تموز الماضي في طهران، لعبت موسكو دورًا بين استغلال الفرصة وتسليح إيران والتعاون العسكري معها من جهة، وضبط تحركاتها في أي رد مقبل ضد إسرائيل من جهة أخرى.
الروس عادوا إلى الجنوب السوري خلال الفترة المذكورة بعد تراجع حضورهم منذ عام 2018، حين أعاد النظام سيطرته على الجنوب بدعم روسي، وفق ما عرف حينها باسم "اتفاق التسوية" الذي أفضى إلى سحب السلاح الثقيل من فصائل المعارضة، ونقل الرافضين لـ"التسوية" نحو آخر معقل للمعارضة شمال غربي سوريا.
وخلال 2018، عادت قوات النظام إلى مواقعها على مقربة من الحدود مع الجولان السوري المحتل، بينما تمركزت روسيا في مناطق من محافظتي القنيطرة ودرعا، ثم انسحبت منها مع بداية حربها في أوكرانيا.
الباحثة المساعدة في مركز "عمران للدراسات" صبا عبد اللطيف، ترى أن روسيا حاولت بعدة طرق التضييق على الوجود العسكري الإيراني جنوبي سوريا، فهناك اتفاقية بين إسرائيل وروسيا تضمن عودة النظام إلى الجنوب السوري، وهي مشروطه بعدم وجود أي ميليشيا إيرانية في المنطقة، وعدم تشكيل تهديد أمني على إسرائيل.
واعتبرت عبد اللطيف في حديثها لعنب بلدي، أن التحركات الروسية تأتي بهدف التضييق، لكن مع التقليل من جدواها بسبب استطاعة إيران التوغل بالجنوب السوري عبر ميليشياتها التي استطاعت ضمها لقوات النظام، وهكذا دخلت المنطقة تحت غطاء شرعي.
وأضافت أن روسيا تسعى لسحب سوريا إلى منطقة الأمان، وتحقيق الاستقرار الشكلي بأدنى مستوى، لتستطيع من خلاله إعادة تعويم النظام وإغلاق الملف السوري، الذي استنزفها خاصة مع دخولها حربًا جديدة في أوكرانيا.
رغم تحرك روسيا عسكريًا، تملك إيران نفوذًا كبيرًا في مدن وبلدات الجنوب السوري عبر أذرعها وميليشياتها من "الحرس الثوري" و"حزب الله" اللبناني، مقارنة بالقوات العسكرية الخارجية في سوريا، ويبلغ عدد مواقعها العسكرية 20 موقعًا في القنيطرة، و16 في درعا، و13 في السويداء.
هذه التحركات أعادت إلى الأذهان ما تحدثت عنه صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية في 2 من تشرين الثاني 2021، عن توافق روسي- إسرائيلي على إخراج إيران من المشهد السوري، جرى خلال لقاء رئيس الوزراء الإسرائيلي، حينها، نفتالي بينيت، والرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وذكرت أن إسرائيل تعمل على "المهمة الصعبة المتمثلة بتدمير أحلام إيران بالهيمنة الإقليمية"، عبر شنّ مئات الضربات الجوية ضد مواقعها في سوريا.
تعتقد الباحثة أنه ليس من مصلحة الروس حاليًا أن تنسحب إيران من سوريا، لأن النظام فعليًا يعيش على دعامتي طهران وموسكو، وفي حال انسحاب أي طرف منهما سيعود الوضع أسوأ مما كان عليه، وهذا ما لا تريده روسيا باعتبارها تسعى لإغلاق الملف من جهة، ومن جهة أخرى لن يستطيع أي طرف تحمل أعباء النظام المنهار اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا.

ماذا بعد؟

تقيس كل من إيران وروسيا مصالحهما في سوريا اليوم بناء على طموحاتهما في ترسيخ النفوذ، وتحديات كل طرف مع خصوم أو حلفاء خارجيين، فإيران تسعى إلى اعتراف دولي بدورها الإقليمي، وتستخدم وجود ميليشيات تابعة لها في سوريا لهذا الهدف، كما سعت لرهن البلد وتكبيله بديون واتفاقات اقتصادية وعسكرية لا فكاك منها، بينما ترى روسيا في سوريا منطقة نفوذ لا يمكن الاستغناء عنها، إذ تحتضن قاعدتها الأولى التي تبنى في الشرق الأوسط، "حميميم"، وهي القاعدة العسكرية الأجنبية الأولى والأكبر مساحة في سوريا، إضافة إلى القاعدة البحرية في طرطوس، والاستثمارات في قطاعات النفط والغاز والفوسفات وغيرها من المصالح.
ومع سنوات الحرب الطويلة بات لكلتا الدولتين وجود يصعب إلغاؤه من الطرف الآخر، لكن مسعى إلغائه سيكون أولوية عندما يتعارض مع خطط أحدهما السياسية والاقتصادية.
النظام السوري الذي ضمن استمراره بدعم موسكو وطهران، ومع تطورات محتملة تؤدي إلى تعارض في مصالح الطرفين، يناور في مساحات ضيقة، فقد رهن مستقبل سوريا الاقتصادي والعسكري لحليفيه، وعلى هذا الأساس فهو يحتمي بأحدهما عندما يتعرض لضغط من الآخر.
وإن كان النظام السوري يفضّل روسيا على إيران، بحسب الخبراء في الشأن السياسي، فهذا لا يعني أنه يملك خيار حسم تحالفاته، وبقدر ما يشكّل التدافع والتنافس بين هذين البلدين فرصة للنظام لتقليص دور أحدهما، فإنه يشكل خطرًا وجوديًا بالنسبة له، وهو ما يفسر تفضيله "اللعب على الحبلين" بدل إبداء موقف واضح، أو التململ بالحد الأدنى.

حاجة ملحة اقتصاديًا

النظام يصرّ على "الدفع الإلكتروني" دون مؤهلات خدمية

أوراق نقدية بالليرة السورية في المصرف التجاري السوري بدمشق – 10 من تشرين الثاني 2022 (جيتي)

عنب بلدي – جنى العيسى

رغم حاجة الناس للاعتماد على الدفع الإلكتروني، فإن حجم الإقبال عليه في مناطق سيطرة النظام السوري بقي محدودًا لأسباب تتعلق بتدهور العملة من جهة، وسوء البنية التحتية لقطاع المصارف غير المجهزة لهذا النوع من التحول التقني من جهة أخرى.

وركزت حكومة النظام السوري خلال السنوات الماضية جهودها لتعزيز ثقافة الدفع الإلكتروني، إلا أنها باتت مؤخرًا أشبه بإرغام الناس على استخدامهم البطاقات المصرفية.

وفي 13 من آب الحالي، أعلنت وزارة المالية في حكومة النظام السوري اعتماد الدفع الإلكتروني في جميع محطات الوقود الحكومية العائدة لشركة "محروقات" في جميع المحافظات، مع الإبقاء على إمكانية الدفع نقدًا للراغبين.

نهاية حزيران الماضي، طالبت حكومة النظام جميع المواطنين من حاملي "البطاقة الذكية" بفتح حسابات مصرفية خلال ثلاثة أشهر، تمهيدًا لتحويل مبالغ الدعم النقدي إليها لاحقًا عند استكمال منظومة الدعم النقدي وجاهزيتها لخدمة الملف بشكل مناسب.

واعتبرت الحكومة، حينها، أن اشتراط فتح الحسابات المصرفية يتعلق بتمكين المواطنين من الحصول على مستحقاتهم الكاملة من الدعم، ومنع أي تعدٍّ على هذه المستحقات من أي جهات وسيطة قائمة أو محتملة، دون ذكرها بالتحديد.

توجه الحكومة نحو إرغام الناس على الدفع الإلكتروني يثير التساؤلات حول الأسباب الاقتصادية والنقدية التي تجنيها الحكومة من ذلك، بغض النظر عن جاهزية البنى التحتية غير المتوفرة بالكامل لخدمة هذا التحول، وطريقة تعامل الناس مع البطاقات البنكية في سياق التضخم وتراجع قيمة العملة.

حاجة ضرورية دون خدمات

تتواتر إعلانات حكومة النظام السوري حول تطوير خدماتها إلكترونيًا، لكن غالبًا ما تخفق هذه الخدمات في أداء غايتها بشكل تام لأسباب مختلفة.

وفي ظل المعطيات الاقتصادية في البلاد المتعلقة بنسب التضخم المرتفعة أو تدهور العملة، وما يترتب على ذلك من زيادة الحاجة إلى حمل فئات نقدية أكبر، تبرز حاجة السوريين إلى التحول نحو الدفع الإلكتروني لتسهيل حياتهم.

ومنذ عام 2011، سجلت قيمة الليرة السورية أمام الدولار الأمريكي انخفاضًا كبيرًا، ما جعل من أكبر فئة نقدية سورية (خمسة آلاف ليرة سورية) في الأسواق اليوم تساوي أقل من نصف دولار أمريكي واحد، بينما كانت قيمة أكبر فئة مطروحة مطلع 2011 (ألف ليرة سورية) تعادل نحو 20 دولارًا أمريكيًا.

ونتيجة لهذا الانخفاض الكبير من جهة، والقوانين التي تجرّم التعامل بالدولار من جهة ثانية، فضلًا عن غياب التعامل بالحسابات البنكية لعدة أسباب، يضطر السوريون اليوم إلى تداول فئات نقدية بحجم كبير من العملة السورية، لكن المبلغ قد يبدو عاديًا إذا ما قيس بالدولار.

تخفيف النقد ودعم شبكاته

يعتقد الباحث السوري بمجال الإدارة المحلية والاقتصاد السياسي في مركز "عمران للدراسات الاستراتيجية" أيمن الدسوقي، أن التحول نحو الدفع الإلكتروني كان مدفوعًا باعتبارات عدة، منها على سبيل المثال لا الحصر، إدارة كمية النقد المتداول بالأسواق في ظل ارتفاع نسب التضخم، واهتراء العملة نتيجة التداول.

وأشار الدسوقي في حديثه لعنب بلدي إلى أن هذا التحول يوفر فرصًا اقتصادية لشركات الدفع الإلكتروني المرتبط بعضها بشبكات النظام الاقتصادية الرسمية وغير الرسمية، إلى جانب تقليل التكاليف المالية الناجمة عن طباعة الفواتير، وتجاوز مسألة تزوير العملة ما أمكن، كل هذا يدفع النظام مؤخرًا نحو هذه المسألة.

يمكن لهذا التوجه أن يحمل آثارًا إيجابية فيما يتصل بتسهيل المعاملات على المواطنين، عوضًا عن الوقوف لساعات في طوابير لدفع الفواتير، كذلك تسهيل معاملاتهم المالية والاستثمارية، إلا أن ذلك مرهون بعوامل عدة.

تتمثل تلك العوامل، وفق ما يرى الباحث، بحل المشكلات والتحديات ذات الصلة بالبنية التحتية لمنظومة الدفع الإلكتروني، كخدمتي الكهرباء والإنترنت اللتين تشهدان حالات انقطاع متكررة وضعفًا في التغطية، فضلًا عن ضعف التنسيق بين القطاعات الحكومية وغير الحكومية، وتوفر الكوادر المؤهلة لإدارة هذه المنظومة تقنيًا، وسهولة تعامل المواطنين مع هذه المنظومة وتطبيقاتها.

ومع ضعف توفر ما سبق أو غيابه، فإن الدفع الإلكتروني يصعب مشكلات الناس عوضًا عن حلها، بحسب الدسوقي.

الباحثة في الشأن الاقتصادي نجاح عبد الحليم، ترى أيضًا أن النظام السوري يسعى من خلال التحول نحو الدفع الإلكتروني إلى تعزيز سيطرته على الاقتصاد، إذ يتيح الدفع الإلكتروني للحكومة مراقبة النشاطات المالية.

يطمح النظام من خلال ذلك أن يعزز السيولة المصرفية، بالإضافة إلى التحكم في حركة الأموال، فضلًا عن تقليل الاعتماد على طباعة العملة الورقية التي فاقمت التضخم.

وتتفق نجاح عبد الحليم مع الباحث أيمن الدسوقي في فكرة أن الدفع الإلكتروني رغم أنه يحمل نظريًا بعض الفوائد على المدى البعيد، فإن تحقيق هذه الفوائد يتطلب توفر العديد من الشروط، مثل بنية تحتية قوية واقتصاد مستقر .

في ظل الأوضاع الحالية في سوريا، وما تعانيه من تدمير للبنية التحتية، وضعف الاتصالات، والانهيار الاقتصادي، من غير المتوقع أن يكون لهذا التحول أي أثر ملموس في الواقع، وفق الباحثة، مضيفة أن الفوائد المحتملة ستظل محدودة جدًا وغير قابلة للتحقيق في ظل غياب الظروف المناسبة.

وباعتراف حكومي، تحدث مدير بالقطاع المصرفي لصحيفة "الوطن" المحلية (لم تسمِّه)، في نيسان 2022، عن تراجع خدمة الصرافات في مناطق حكومة النظام، ملخصًا أسباب ذلك بعدة مشكلات، لم تفلح الحكومة بإيجاد حلول جذرية لها حتى الآن.

المواطنون يسايرون الحكومة

في مسح أجرته الأمم المتحدة عام 2022 للحكومات الإلكترونية، حلت سوريا في المرتبة 156 عالميًا من إجمالي 193 دولة، بينما وصل ترتيبها في عام 2020 إلى المركز 131 عالميًا، ما يشير إلى تراجع وضع الخدمات الإلكترونية بمرور الأعوام في سوريا.

الباحث في الاقتصاد أيمن الدسوقي، أشار إلى أن المواطنين لا يزالون يفضّلون التعاملات النقدية على الإلكترونية في ظل انخفاض الثقة بإجراءات وخطوات الحكومة فيما يتعلق بالمعاملات الإلكترونية المالية، إلا أنهم مضطرون إلى مسايرة هذه الإجراءات كونها إلزامية ولا يمكن تجاوزها.

الباحثة في الاقتصاد نجاح عبد الحليم، أشارت إلى أنه في ظل التضخم المتزايد وانخفاض قيمة الليرة السورية، من المتوقع أن يتجنب الناس وضع أموالهم في المصارف، إذ يجعلهم الاستقرار المالي أكثر اعتمادًا على الاحتفاظ بالنقد، خاصة في ظل غياب الثقة بالنظام المصرفي.

وعلى الرغم من دفع الحكومة نحو استخدام البطاقات البنكية، فإن السلوك الشائع سيكون الاستمرار في الدفع النقدي، مع تقييد استخدام الدفع الإلكتروني بالحاجات الضرورية فقط، وفق نجاح عبد الحليم.

سوريا في مؤشر تنمية الحكومة الإلكترونية (EGDI)

يعرض مؤشر تنمية الحكومة الإلكترونية، وهو مؤشر أممي، حالة تطور الحكومة الإلكترونية في الدول الأعضاء بالأمم المتحدة.

كما يقيّم أنماط تطوير المواقع الإلكترونية في كل دولة، ويأخذ المؤشر بعين الاعتبار خصائص الوصول، مثل البنية التحتية ومستويات التعليم، ليعكس كيفية استخدام الدولة تكنولوجيا المعلومات لتعزيز الوصول والشمولية لمواطنيها.

يعتبر مؤشر "EGDI" مقياسًا مركبًا لثلاثة أبعاد مهمة للحكومة الإلكترونية، هي توفير الخدمات عبر الإنترنت، والاتصال بالاتصالات السلكية واللاسلكية، والقدرة البشرية.

وتقع سوريا في المرتبة 156 من أصل 193 دولة مصنفة في إطار المؤشر على صعيد تطوير الحكومة الإلكترونية لعام 2022، بينما تحتل مرتبة أدنى على صعيد مشاركة السكان في الخدمات الإلكترونية، إذ تقع في المرتبة 185 من أصل 193.

وتظهر بيانات الأمم المتحدة أن سوريا تراجعت على صعيد تطوير الحكومة الإلكترونية منذ عام 2020، حين كانت تحتل المرتبة 131 من أصل 193 دولة، والمرتبة 106 من حيث مشاركة السكان في هذه الخدمات.

دولار أمريكي ▲ مبيع 14850 شراء 14700
يورو ▼ مبيع 16116 شراء 15948
ليرة تركية ▼ مبيع 460 شراء 454
الذهب 21 ▲ 991.000 الذهب 18 ▲ 850.000 المازوت = 15000 البنزين = 19000 الغاز = 270.000 (للجرة) السكر (كغ) = 15000 الأرز (كغ) = 35000

تشكلت بدوافع اجتماعية واقتصادية

"غيتوهات" سورية تحت الضغط في تركيا

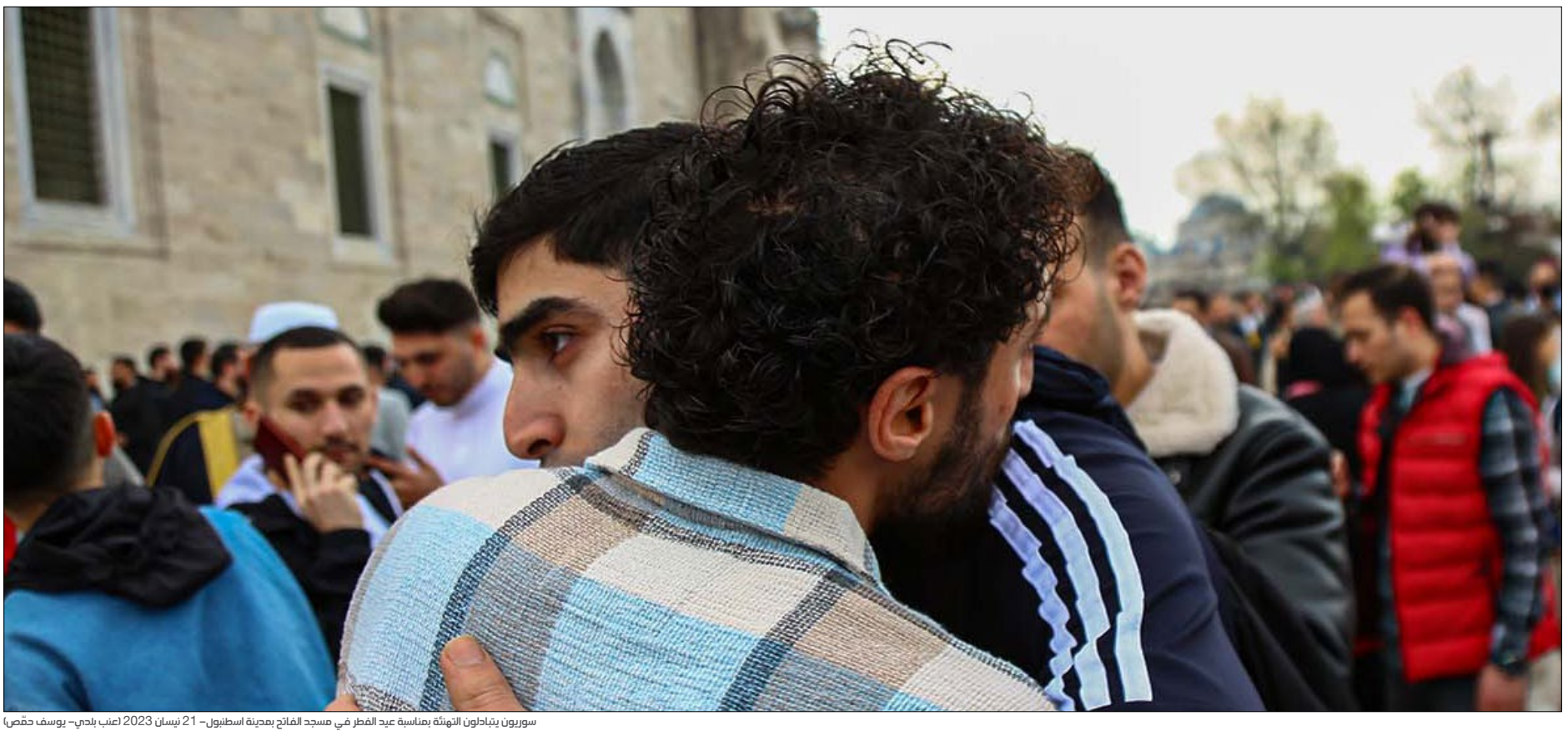

سوريون يتبادلون التهنئة بمناسبة عيد الفطر في مسجد الفاتح بمدينة اسطنبول- 21 نيسان 2023 (عنب بلدي- يوسف حمّص)

عنب بلدي - خالد الجرعتلي

تميل شريحة من السوريين منذ لحظة وصولهم إلى تركيا للبحث عن مكان إقامة يتركز فيه السوريون، ومنهم من يضيّق خياراته أكثر، إذ يبحث عن مكان تقيم فيه عائلات من أبناء محافظته أو مدينته.

ومع مرور السنوات، تشكّلت مناطق إقامة تركز فيها السوريون مثل حيي الفاتح وأسنيورت في ولاية اسطنبول، أو حيي الصحابية ودانشمنت في ولاية قيصري، أو محيط "سانكو بارك" (مركز تسوق) في غازي عينتاب، وغيرها في ولايات أخرى.

وعلى مدار سنوات إقامة السوريين في تركيا، ظهر مصطلح "الغيتو" لوصف تجمعات السوريين، وورد في بعض الأوقات خلال مناظرات بين طلاب وجامعيين، رصدتها عنب بلدي سابقًا.

يشير مصطلح "غيتو"(Ghetto) إلى منطقة تعيش فيها، طوعًا أو كرهًا، مجموعة من السكان تعتبرهم أغلبية الناس خلفية لعرقية أو ثقافة معيّنة أو لدين محدد.

وبحسب موسوعة "المعرفة"، يطلق المصطلح اليوم على المناطق الفقيرة حيث أُجبرت الأقليات القومية على العيش فيها بسبب الضغوط الاجتماعية والاقتصادية.

أطلق مصطلح "غيتو" سابقًا على معازل اليهود، أو على قطاعات في المدن الأوروبية استوطن فيها اليهود، أو أُجبروا على العيش فيها.

خيار طوعي حولته القوانين إلى قسري

انتقاء أماكن الإقامة بالنسبة للسوريين كان طوعيًا حتى مطلع عام 2022، عندما قررت الحكومة التركية إغلاق بعض الأحياء أمام الأجانب، وإجبار المقيمين في حي معيّن على الإقامة في نفس الحي، حتى لو قرروا تغيير منزلهم.

كان اختيار إسماعيل، وهو صاحب محل لبيع المواد الغذائية في ولاية هاتاي التركية، مدينة الريحانية من باب قربها للحدود السورية لا أكثر، ومع مرور الوقت، قرر فتح "بقالية" صغيرة، فنقل منزله إلى منطقة تُعرف باسم "بازار الأربعاء"، يتجمع فيها السوريون بالمدينة.

إسماعيل قال لعنب بلدي، إنه اختار هذا الموقع نظرًا إلى كثرة السوريين فيه، علمًا أن السوريين ينتشرون في كامل مدينة الريحانية، لكن "بازار الأربعاء" المكتظ قد يجعل من تجارته أكثر ربحًا.

ويقيم اليوم البقال السوري على مقربة من محله، لكن إقامته ليست مريحة، وفق تعبيره، إذ يخشى المشكلات التي تلاحق السوريين في البلاد والتعدي على محالهم التجارية، كما حصل في حزيران الماضي، لكن تزايد خطاب الكراهية ضد اللاجئين، يجعل من إقامته في منطقة بعيدة عن تجمع السوريين أكثر سوءًا، وفق تعبيره.

براءة، وهي من سكان ولاية قيصري، انتقلت حديثًا إلى ولاية اسطنبول، مشيرة إلى أن اختيار مكان الإقامة كان بالمقام الأول للبحث عن سبل الراحة، إذ توجد محال تجارية تبيع مستلزمات السوريين في الأحياء التي يتجمعون فيها بشكل رئيس، إلى جانب العيادات الخاصة التي يتحدث أصحابها العربية.

كما أن أماكن تجمع السوريين في قيصري كانت بناء على المحافظة التي ينحدرون منها، فتوجد في المدينة أماكن تجمع أبناء محافظة اللاذقية السورية، ومثلها لمحافظة حلب، ودمشق، وغيرها، وفق براءة، التي رأت في أماكن التجمع هذه محاسن ومساوئ.

وأضافت، وهي شابة عشرينية حاصلة على الجنسية التركية، أن هذه التجمعات أثرت سلبًا على اندماج سكانها بالمجتمع المضيف، خصوصًا أنهم ليسوا على تماس بالمجتمع التركي.

لم تختلف الحال كثيرًا بالنسبة لجودي المصري، وهي سورية تبلغ من العمر 21 عامًا، تقيم في حي الفاتح بولاية اسطنبول، وقالت لعنب بلدي، إنها اختارت الإقامة في هذا الحي بسبب جهلها باللغة وثقافة البلاد، إذ بحثت عن أكثر الأماكن التي تتوفر فيها مراكز طبية عربية، وأساتذة لغة تركية يجيدون العربية، وحضانات للأطفال، ومتاجر عربية.

وأضافت أن إقامتها في حي الفاتح الذي يشكل تجمعًا للسوريين، وفرت أكثر من وسيلة لتعلم اللغة التركية، لكنها أثرت بشكل سلبي على اندماج السوريين بالمجتمع المحلي، كونها تعزل المجتمع اللاجئ عن المجتمع المضيف.

لماذا يتشكل "الغيتو"

منذ البداية لم تكن تركيا مكان استقرار دائمًا للسوريين، بل كانت محطة عبور إلى أوروبا أو محطة مؤقتة لحين انتهاء الحرب في سوريا، وهو ما يفسر حالة عدم رغبة المجتمع اللاجئ بالمبادرة لمحاولة الاندماج بالمجتمع المضيف، وتشكّل أماكن إقامة خاصة بهم، إلى جانب أن تركيبة المجتمع السوري القادم إلى تركيا أسهمت بذلك أيضًا، وفق ما يراه الدكتور في علم الاجتماع صفوان قسام.

قسام قال لعنب بلدي، إن شريحة من الفئة الشابة غير المتعلمة أو التي تعمل في الصناعة والتجارة والأعمال الحرة تعلمت لغة بسيطة في الغالب، واندمجت وفق قاعدة تلامسها الدائم مع المجتمع المحلي بهدف قضاء غرضها من الإقامة في تركيا فقط، سواء العمل أو التجارة أو غيرهما.

أما الفئة المتعلمة فانعزلت على نفسها، وكان احتكاكها من باب العمل ليس أكثر، إلى جانب أن باقي فئات اللاجئين من كبار السن كان من الصعب عليهم تعلم لغة جديدة، ما أسهم في عدم اندماجهم بالمجتمع المضيف.

وأضاف قسام أن كبر المجتمع السوري وتنوع خدماته، وفر على السوريين تكبد عناء التواصل والاندماج مع المجتمع المحلي.

قسام قال أيضًا، إن بعض الممارسات العنصرية كان لها دور في إحجام الكثيرين عن الاندماج.

وأضاف أن الجيل الشاب في المدارس والجامعات كان اندماجهم عاليًا جدًا، لدرجة أنهم تماهوا مع المجتمع التركي، فلا تكاد تميزهم من بعضهم في معظم الأحيان.

وفي حالة شريحة من اللاجئين السوريين ممن اتخذوا قرار الاستقرار في تركيا، كان اندماجهم كبيرًا في المجتمع التركي من حيث تعلم اللغة، والتعامل التجاري، وحتى التقارب بالزواج وغيره.

ويرى قسام أن سلبيات تجمعات "الغيتو" ربما تكون كبيرة جدًا، لأنها تعزل الفئة التي تظهر رقي السوريين وتمدنهم عن المجتمع المضيف، خصوصًا أن ذلك تزامن مع تعويم لممارسات سلبية لبعض اللاجئين، وهو ما أضفى طابعًا سلبيًا على بقية السوريين وبالتالي دفع جميع اللاجئين ثمنه.

حالة عززها القانون

تجبر الحكومة التركية منذ عام 2018 اللاجئين السوريين على الإقامة في المدن التي وصلوا إليها أولًا، وسجلوا قيودهم الشخصية فيها، وتمنع سفرهم وتنقلهم بين الولايات، إلا بموجب استخراج "إذن للسفر" بصلاحية محددة، وتعتبر الموافقة عليه مشروطة أيضًا.

يجد السوريون المقيمون في تركيا، وخاصة في الولايات الحدودية، صعوبة بالغة في الحصول على "إذن سفر"، وخاصة إلى ولاية اسطنبول التي تحاول السلطات التركية تخفيف وجودهم فيها، ما يتركهم عرضة لاستغلال "سماسرة" يستخرجون لهم إذنًا مقابل المال.

التضييق يدفع كثيرين إلى التنقل بشكل مخالف (تهريب)، من خلال سيارات أجرة لا يمر سائقوها من الطرقات التي يعرفون مسبقًا بوجود حواجز تفتيش عليها، أو عن طريق حافلات السفر التي يحجزون تذاكرها عبر الإنترنت، ويتركون إمكانية غض طرف عناصر الأمن في حواجز التفتيش عن غياب "إذن السفر" للحظ.

ومنذ شباط 2022، صدرت تصريحات عن مسؤولين في الحكومية التركية حول خطة لتوزيع اللاجئين السوريين في تركيا على الولايات والمدن، في محاولة منهم لمنع إنشائهم تجمعات في مدن وأحياء معيّنة.

وأغلقت الحكومة التركية عددًا من الأحياء والمدن أمام السوريين على جميع الصعد، منها السكن والإقامة وتثبيت القيود، إذ تُرفض طلبات تثبيت السكن في مناطق مثل "الفاتح" في اسطنبول على سبيل المثال لا الحصر، حتى ولو كان الشخص يعمل في المنطقة ذاتها.

وبالنسبة للمقيمين في هذه الأحياء اليوم، لا يمكنهم الانتقال للعيش في أحياء أخرى مغلقة، ما حافظ على شكل "الغيتو" الموجود في المدن التركية، لكنه حال دون زيادته.

زادتها العنصرية

آراء اللاجئين السوريين المقيمين في تركيا، ممن قابلتهم عنب بلدي، انقسمت بين من اعتبر أن موجات العنصرية التي زادت وتيرتها منذ عام 2020، شكّلت دافعًا للإقامة في مناطق يكثر فيها لاجئون، بينما كان العكس بالنسبة لآخرين.

الشاب إسماعيل، يعتقد أن الإقامة في حي يقل فيه وجود السوريين ليس اختيارًا مناسبًا له، خصوصًا أن الخطاب العنصري المتصاعد يجعله يشعر أنه مستهدف، وهو ما تراه براءة أيضًا.

وتعتقد براءة التي عاشت أحداث قيصري، عندما تعرض حي دانشمنت الذي يقيم فيه السوريون لاعتداءات طالت منازلهم ومحالهم التجارية، أن الإقامة في أماكن محددة لشريحة واسعة من السوريين تجعلهم هدفًا لأي هجوم عنصري، كما حدث في مكان إقامتها السابق نهاية حزيران الماضي.

ويعتقد علي، يقيم في ولاية مرسين، أن الإقامة في أحياء تشارشي أو بالقرب من البلدية، حيث تتركز أماكن إقامة السوريين، سلبية بالمطلق، وقد يكون ضحية لأي مشكلة تحدث مع أي شاب سوري في هذه المنطقة.

ويرى أنه في حال نشوب مشكلة بين شاب سوري وآخر تركي، يعتقد الأخير أن كل من يقيم في هذه المنطقة يمثل الشخص الذي واجهه مشكلة معه.

واستُغلت ورقة اللاجئين السوريين خلال السنوات الماضية من قبل أحزاب المعارضة التركية، بهدف تحقيق مكاسب في الانتخابات منذ انتخابات عام 2018.

وزاد هذا الاستغلال مع تصاعد الخطاب العنصري تجاه السوريين، وترافق مع مجموعة من الظروف أبرزها التضخم، وارتفاع نسبة البطالة، ما مكّن المعارضة التركية من الحصول على مكاسب عبر استخدام هذه الورقة.

وتشكلت خلال سنوات إقامة السوريين بتركيا أحزاب سياسية تقوم مشاريعها على "طرد اللاجئين من تركيا" مثل حزب "النصر" المتطرف، الذي انخرط بانتخابات رئاسية، وأخرى بلدية تحت هذه الوعود.

ولم يقدم هذا الحزب أي حلول أو أطروحات خارج إطار ترحيل اللاجئين، وإصدار قوانين تضيّق على حياة الأجانب في البلاد.

السخرية لدى السوريين..
الهروب من واقع لا قدرة على تغييره

عنب بلدي – حسام المحمود

"يسفرونك يا حجي، من مشيتك مبين إنك سوري"، هذا جزء من تسجيل صوتي غزا وسائل التواصل الاجتماعي مؤخرًا وصولًا إلى تحويله لأغنية ساخرة بلحن غير أصيل (ليس خاصًا بالكلمات) تتناول مسألة الترحيل القسري للاجئين السوريين لمجرد أنهم سوريون، ولاقت تفاعلًا من قبل المتلقي حتى لو لم يكن سوريًا.

لا تعتبر السخرية حالة طارئة في حياة الشعوب عمومًا والسوريين خصوصًا، رغم مرورها ببعض المتغيرات التي يفرضها الظرف والحالة السياسية والاجتماعية على مدار أكثر من عقد من الزمن، فإذا كانت الدعابة والنكتة لدى السوريين محصورة سابقًا بإطار اجتماعي خفيف قد يحمل أو لا يحمل نقدًا لظاهرة اجتماعية، فإن كسر حاجز الخوف والانطلاق نحو حرية تعبير أكبر غذّاها الاغتراب والخروج من قبضة السلطة الحاكمة ولّد بعدًا آخر لهذه السخرية، لتستهدف السلطة السياسية ومواقفها السياسية من جهة، إلى جانب ما يواجهه السوريون في بلدان الاغتراب من قضايا ومواقف.

كما أن الفترة التي سبقت الثورة السورية عام 2011، كرّست السخرية في إطارين، أحدهما فني، من خلال "اسكتشات" (لوحات ومشاهد قصيرة) مكتوبة بعناية لتنتقد فكرة أو حالة أو ظاهرة ما، كالذي كان يقدمه مسلسل "بقعة ضوء" ضمن إطار ما يعرف بـ"الكوميديا السوداء"، فيضحك المشاهد على معاناة أبطال اللوحة الدرامية، التي لا تنفصل ربما عن معاناته، إلى جانب صفحات عبر وسائل التواصل الاجتماعي كانت بعيدة عن الحالة السياسية أو المساس بـ"الخطوط الحمراء" التي رسمتها السلطة للنقد بأشكاله، والسخرية أحدها.

ليث، شاب سوري مقيم في هولندا، يرى أن السخرية من القضايا التي يواجهها السوريون مسألة غير صحية لأنها تعتبر ضحكًا على المصيبة، وتمثل خضوعًا للمشكلة أو تقبلًا لها، موضحًا أنه لم يكن يتفاعل سابقًا مع حالات السخرية، ويرى فيها تكريسًا لليأس، لكن التفاعل الجماعي ولّد نوعًا من الانقياد يدفع للمشاركة في السخرية، بصورة تشبه الثورة على ما لا يتقبله الشخص، وفق ظروفه.

يرى الشاب أن السخرية الطريقة الفضلى مما هو متاح، فلا أدوات يقاوم بها السوريون أكثر من السخرية، فالمثل يقول: "بالضحك والأفراح بتنشفي الأرواح"، وهذه طريقة مقاومة ودفاع ضد ما هو مفروض حتى لا ينساق الناس للحزن، فلا حلول بديلة أكثر من الضحك على الأوجاع، وهذا يولّد بدوره نوعًا من تبلد المشاعر، فيتوقف الشخص عن الاكتراث الجاد بالمشكلة طالما أن أدوات التغيير غير متاحة أمام واقع مفروض، كون حياة السوريين مقيّدة ومحاصرة، وهي وسيلة تعبير تتيح للشخص التنفيس دون ذهاب إلى السجن مثلًا.

"إرهاب الجمهور" يهدد السخرية

من جانبه، يرى عمار اقطيني، وهو مدرّس فلسفة سابقًا في سوريا، أن الأحداث بسوريا في طور البداية مرت بحالة عفوية مبشرة، وكانت النفس هادئة توحي بإمكانية الوصول إلى حالتين، جدية وساخرة، قبل الوصول إلى حالة العنف، وتخويف الجمهور و"إرهابه"، بما يهدد أي حالة سخرية قد تبعد الموقف عن اتجاهات أكثر عنفًا.

كما أن تبني الجمهور لموقف يتعارض مع الآخر بشكل جاد، ولّد نوعًا من الرهبة، والسخرية مرحلة متقدمة من الوعي، وفق وجهة نظر الفيلسوف الألماني هيجل، والأطراف المتصارعة في سوريا لم تمضِ بالسخرية إلى الحالة الفنية.

عمار يرى أن حالة التعبير عن الصراع بأسلوب فني خالص، لم يبلغها الشاعر السوري، وهي مرحلة سابقة للسخرية، من وجهة نظره، وهو ما يفسر عدم وجود اتجاه ثابت للتعامل بسخرية مع المعضلة السورية.

وقد لا تصل السخرية، وفق عمار، إلى كوميديا الموقف، لكنها تخفف من وطء الضغط على الجمهور المتأثر بالحالة المنتقدة، لكن المطلوب كان الوصول إلى تعبير فني ساخر بدقة وذكاء من قبل فنانين حقيقيين لا هواة، لمعالجة المشكلات المستعصية بشكل ساخر، لتوسيع رقعة وصول المشكلة والتفاعل معها على مستوى يتخطى السوريين، فالكوميديا التي تناولت الحالة السورية تقتصر على إطار فردي، خلافًا لحالة التراجيديا التي عبرّت عن نفسها فنيًا بصورة أوسع، فيما يتعلق بالحدث السوري.

"الكوميديا هي كوميديا بقدر استطاعتها الاصطدام بالآراء الجدية والآراء التي تصدر انطباعات جادة وحازمة، وتنقل الموضوع باختلاف وجهات النظر ومستوياتها، آخذة بالاعتبار آراء مختلف الشرائح"، وفق رأي عمار.

تضارب آراء

من الناحية النفسية، يرى عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد، في ورقة بحثية بعنوان "الأنا والهو" (صدرت عام 1923) عن الفكاهة، أن داخل كل إنسان حيلة دفاعية، واستراتيجيات يستخدمها العقل الباطن للحماية من التوتر الذي تولده الأفكار أو المشاعر المرفوضة، معتبرًا أن العقل يستخدم أربعة أنواع من الدفاعات النفسية، مرضية وغير ناضجة، وعصبية، وناضجة، ويعتبر الفكاهة تعبيرًا عن الأفكار التي عادة ما تكون ذات طبيعة مؤلمة، فيحولها الإنسان إلى سلوك يعطي البهجة.

وبحسب ما جاء في كتاب "إنسان بعد التحديث" لشريف عرفة، يرى فرويد أن السخرية ولدت من رحم القسوة، وهي تعبير عن الوحشية والعنف، كما وجد العلماء أن من يستخدمون كوميديا الموقف في حياتهم اليومية هم أكثر اتزانًا وتصالحًا مع أنفسهم من الذين يستخدمون الكوميديا العنيفة القاسية (السخرية من الآخرين وإهانة النفس). وكلما ارتقى الإنسان في مراحل التطور النفسي، استطاع الانفصال عن وجهة نظره الخاصة، ليرى نفسه من زاوية فكرية أخرى، وبالتالي يمكن أن يلمح أوجه الدعابة وأن يسخر دون شعور بالإهانة.

أما الفيلسوف الألماني هيجل، فيعتبر في كتابة "أصول فلسفة الحق" أن السخرية الرتبة الدنيا في سلم الأخلاق الذاتية، وهي اللحظة التي تنضبط فيها الذاتية، وتتجلى عبر نفيها المطلق، كون السخرية توجد مسبوقة باعتقاد يدرك باعتباره يقينًا ذاتيًا خالصًا ومطلقًا، يستبطن نقطة رسو مقصودة.

ورغم تضارب وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية حيال مسألة السخرية، فهي مستمرة بالنظر إلى استمرار الظروف التي تبعث عليها على المستويات الفردية والجماعية، وتتحول في وقت ما إلى عامل مشترك يوحد طرفي القضية المتنافرين ربما، في ضحكة عابرة.

انتشار أوسع.. وسائل التواصل تساعد

من الناحية التقنية، ساعد بروز دور وسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز تداول النكتة والدعابة، والمنشورات التي تتبنى السخرية، ليتبادلها جمهور المستخدمين عبر التعليقات والرسائل المباشرة، ويطفو على السطح من وقت لآخر تسجيل أو مقطع مصور أو صورة ما، تتحول إلى "تريند" بناء على محاكاتها لظرف راهن أو حدث يمر به فئات من السوريين بمعزل عن مكان الإقامة.

وإذا لم يكن السوريون سباقين في مجال الكوميديا والنكتة والسخرية، كالمصريين مثلًا الذين سخّروا الصوت والصورة والقلم جزئيًا في الإطار الساخر، فلديهم على الأقل استجابة عالية وسريعة لـ"التريند"، إذ تظهر خلال أيام الأغنية المشتقة من فكرة "التريند" كترحيل اللاجئين السوريين قسرًا، فضلًا عن أغنيات أخرى تعالج قضايا غير مستعجلة، أو غير طارئة، ولها استمراريتها، كبعض الأغنيات التي قدمها الشاب السوري حسين بدران، وتتحدث إحداها عن تحويل الأموال للأهل والمقربين في سوريا، بينما تتحدث أخرى عن أسلوب وآلية التدخين وضرورة التوجه نحو "التتن" بدلًا من السجائر الجاهزة بغرض توفير المال وإرساله للعائلة.

المطرب حسين بدران من أغنية "يغن عرض المصاري" في حفلة بمدينة هامبورغ بألمانيا (حساب بدران/ يوتيوب)

الأغبياء فقط
من يطلقون النار
على أقدامهم

غزوان قرنفل

العنصرية في تركيا ليست ظاهرة عرضيّة ولا هي حالة طارئة، وهي بالتأكيد ليست أيضًا شيئًا أصيلًا في تكوين الأتراك، بل هي شيء متوطن لدى قسم لا بأس به من المجتمع التركي، على الرغم من أن تركيا يمكن تصنيفها ضمن الدول الملجئة، باعتبارها استوعبت موجات هجرة ولجوء من دول شتى كالصينيين الإيغور، ومن القوقاز والبلقان والبوسنة وقبرص واليمن والعراق وليبيا وسوريا ومن روسيا وأوكرانيا، حتى صارت تلك المسألة قيمة راسخة في الوجدان المجتمعي العام. فلماذا يقفز شيطان الكراهية والعنصرية الآن ليعيد احتلال المساحات الضحلة في عقول قسم من الأتراك ضد اللاجئين، ولا سيما العرب وخاصة السوريين منهم، بل ويتعدى ذلك ليصل حتى للسياح ذوي السحنة العربية.

هل فيما سبق تناقض؟ إذ كيف يكون مجتمع ما ملجئًا وفيه عنصرية وعنصريون في آن واحد؟ لا ليس تناقضًا بل توصيفًا لواقع ظهرت تبدياته مترافقة مع أزمة اقتصادية طاحنة هوت بالليرة إلى مستويات قياسية مقابل الدولار، وجعلت حياة الناس أكثر ثقلًا، دون أن يكون ذلك هو السبب الوحيد لخروج شيطان العنصرية من قمقمه واستيطانه رؤوس جزء من المجتمع يرفض استخدام مادته الدماغية في التفكير ومقاربة الأسباب الحقيقية لحياته المأزومة.

العنصرية موجودة، ومن العبث إنكارها وتجاهل ارتداداتها، وقد أوضحت سابقًا في غير مقال أسبابها وتبدياتها حتى على فئات من الشعب التركي نفسه، وكذلك احتضان أعداد كبيرة من اللاجئين من دول شتى وإدماجهم ضمن بنية المجتمع سمة موجودة أيضًا، وبالتالي المسألة لا تناقض فيها وإنما هي توصيف حال يقول إن جزءًا من هذا المجتمع البسيط المتواضع لا يزال موتورًا وتعبث في عقله المغلق أفكار مرضية تصور له أنه شيء ما فوق بشري لا تصح مقارنته بغيره من الأقوام فضلًا عن رفضه مخالطتها.

وإذا اعتبرنا أن الأزمة الاقتصادية، والتي هي أزمة عالمية وليست تركية فحسب، هي المفجّر لكوامن العنصرية، فإن من بديهيات الأمور ومنطقها أن نعرف كيف نستثمر ما بين أيدينا من موارد لتخفيف آثار تدهور الوضع الاقتصادي على حياة الناس، وتوظيف كل الممكنات لامتصاص النسب المفجعة من التضخم، ومنها بطبيعة الحال المورد السياحي، وهو إحدى أبرز الموارد المهمة للاقتصاد التركي.

لذلك يبدو غريبًا ومنفّرًا حقًا أن يسلك بعض الأتراك سلوكًا طاردًا للسياح العرب، وهم السياح الذين ينفقون خمسة أضعاف ما ينفقه أي سائح من جنسيات أخرى، إذ يتراوح متوسط الإنفاق اليومي للسائح العربي في تركيا ما بين 300 و500 دولار يوميًا، ومن المستحيل أن ينفق أي سائح آخر أكثر من ربع هذه الأرقام، ومع ذلك، لا يلقى معاملة لائقة تعكس احترامًا له، بخلاف ما يلقاه السياح من أصحاب السحنة الأوروبية أو الصينية، بل غالبًا ما يقابل بسلوك متوتر وعدائي ممزوج بجموح غير مفهوم للاحتيال عليه وسلبه بعض أمواله بغير حق، ويتطور الحال في بعض الأحيان لاعتداءات جسدية لا تضمن مداها ولا آثارها، ربما فقط يكون سببها أن السائح يتحدث العربية، التي هي لغته، في تركيا التي لا يتقن ولا يتوقع منه أن يتقن لغتها.

هل تعرفون الغبي الذي يطلق النار على قدميه؟ هو تمامًا ذلك العنصري التافه الذي لا يريد سماع حرف عربي، رغم أن لغته متخمة بالكلمات العربية! ومع ذلك، فهو لا يصاب بالحكة التحسسية القومية عندما يسمع الروسية والأوكرانية واليونانية والإنجليزية، بل يطرب لسماعها في مؤشر لحالة استلاب بيّنة تجاه ما هو أوروبي بما يمكن تسميته بعقدة "الخواجا". وهو الغبي الذي يظن أن معالجة أوضاعه المأزومة تكون بأن يصرف كراهيته تجاه من قد يسهم وجوده في التخفيف من وقع أزمته الاقتصادية.

في ولاية بورصة التركية، أعلن اتحاد السياحة والتجارة مؤخرًا عن انخفاض بنسبة 60% في عدد السياح نتيجة انخفاض نسبة السياح العرب، وتقول المؤشرات أيضًا، إن عدد الزوار العرب انخفض في اسطنبول من مليون و806 آلاف زائر عربي إلى 787 ألفًا فقط، أي أن اسطنبول وحدها خسرت أكثر من مليون سائح عربي هذا العام، لتأتي حادثة الاعتداء على سائح عربي، في 12 من آب الحالي، بمدينة طرابزون كإضافة قاتلة لموسم السياحة.

والحقيقة أن العنصرية الفظّة، والفجور في محاولات استغلال السائحين العرب، هي أبرز الأسباب بالتأكيد، ليس فقط لانخفاض أعداد السياح العرب الذين بدؤوا يجدون بديلًا أفضل وأرخص في اليونان والبوسنة وجورجيا، وهم مع الأسف محقون في ذلك، إذ لا يعقل أن تنبذني وتسيء معاملتي وتحاول دائمًا استغلالي وتبدي لي الكراهية، وفي نفس الوقت ترغب في أن أنفق أموالي عندك. إنها معادلة بلا حل لأنها معادلة غبية لا أكثر.

نحن هنا تحدثنا عن خسائر في قطاعات السياحة لا أكثر، وبالقطع فإن هذه العنصرية البغيضة لن تقتصر آثارها على هذا الجانب، فقد خسرت تركيا حوالي عشرة مليارات دولار في العام 2023 فقط بسبب تراجع الصادرات التركية إلى الدول العربية، ويتوقع خبراء اقتصاديون أن تتفاقم الخسائر أكثر في العام الحالي طالما استمر هذا الخطاب العنصري وبقي هذا التضخم.

هل أدرك أولئك المؤججون لخطاب الكراهية ضد العرب، وأولئك العنصريون الأغبياء، أن ما يفعلونه هو أنهم يطلقون النار على أقدامهم، التي يفترض أنهم سيحتاجون إليها لبدء مسيرة طويلة الأمد على مسار التعافي الاقتصادي، وأن تنشيط سوق السياحة التي يقتلونها، هو أحد أهم شروط هذا التعافي. أعتقد أنهم لن يدركوا إلا (ربما) عندما يجدون فنادقهم ومطاعمهم ومنتجعاتهم خاوية على عروشها يعبث فيها الهواء.

غني بمضادات الأكسدة.. ما فوائد نبات الكمّون

يعتبر الكمّون مكوّنًا غذائيًا له شعبية كبيرة بسبب فوائده الصحية، سواء عبر شرب منقوعه أو بإضافته إلى بعض الأطعمة، إذ يحتوي على الكثير من العناصر الغذائية، وشاع استخدامه كأحد التوابل التي تمنح الطعام نكهة مميزة وكمصدر للزيوت العطرية.

يسهم الكمّون في علاج العديد من المشكلات الصحية والوقاية منها، ويستخدم في الطب التقليدي، كما أثبت العلم عدة فوائد طبية، فهو غني بمضادات الأكسدة، وهي مركبات تحمي من تلف الخلايا عن طريق تحييد المواد شديدة التفاعل والتي تسمى الجذور الحرة.

ويعد الكمّون مصدرًا جيدًا للعديد من مضادات الأكسدة، مثل الأحماض الفينولية والفلافونويدات مثل اللوتيولين والكيرسيتين والأبيجينين. تشير الأبحاث التي أجريت على الحيوانات إلى أن استهلاك الكمّون يمكن أن يساعد في تقليل علامات الإجهاد التأكسدي.

تتعدد فوائد الكمون لصحة الجسم بسبب احتوائه على العديد من المركبات الفعالة، من أبرزها:

- تعزيز عملية الهضم عبر تحفيز إنتاج اللعاب والإنزيمات الهاضمة، والعصارة الصفراوية.
- تخفيف المغص وعلاج الانتفاخ وطرد الغازات.
- تهدئة أعراض القولون العصبي والتغلب على الإمساك أو الإسهال المصاحب له عبر تنظيم حركة الأمعاء.
- محاربة بعض أنواع البكتيريا الضارة التي تسبب الأمراض.
- خفض نسبة السكر المرتفعة في الدم لدى مرضى السكري.
- خفض مستوى الكوليسترول الضار في الجسم والدهون الثلاثية.
- تحسين الإدراك، وتقوية الذاكرة والأعصاب الطرفية.
- إمداد الجسم بالعناصر الغذائية المهمة، مثل الحديد والكالسيوم.
- حماية خلايا الجسم من التلف والشيخوخة.
- الوقاية من الإصابة بالسرطان، وكذلك الحد من نمو بعض الأورام الخبيثة.
- المساهمة في إنقاص الوزن، حيث يعمل الكمّون على تعزيز عملية الأيض وتقليل نسبة الدهون.

هناك العديد من الطرق لتناول الكمّون والحصول على فوائده لصحة الجسم، حيث يمكن إضافة بذوره كاملة أو مطحونة إلى الطعام، أو تناوله في صورة مكملات غذائية.

وتتعدد طرق شرب الكمّون، سواء عبر شاي الكمّون أو الكمّون المغلي بإضافة ملعقتين صغيرتين من بذوره إلى ليتر ونصف من الماء، ثم تركه على نار هادئة حتى الغليان مدة 20 دقيقة، ومن ثم رفع الوعاء من على النار وتركه ليبرد، بعد ذلك يصفى ويشرب.

ويمكن إضافة ملعقة صغيرة من الكمّون إلى كوب من الماء، ومن ثم تركه لينقع طوال الليل، وفي صباح اليوم التالي يصفى ويشرب.

وقد يفيد إضافة الليمون إلى هذا المنقوع للحصول على فوائد الكمّون والليمون معًا، إذ إن الليمون يسهم أيضًا في إنقاص الوزن، والوقاية من فقر الدم، إضافة إلى خصائصه المضادة للأكسدة والمضادة للميكروبات.

ورغم فوائد شرب الكمّون أو تناوله مع الطعام، فإن الإفراط في شربه، أو تناوله في صورة مكملات غذائية بكميات كبيرة، قد يؤدي إلى أضرار صحية، منها دوخة وغثيان، وحرقة المعدة أو المغص، وإبطاء تخثر الدم لدى مرضى اضطرابات النزيف، وخفض مستوى السكر في الدم عن الحد الطبيعي لدى مرضى السكري.

ويمكن أن تظهر حساسية الكمّون في صورة مجموعة من الأعراض، وينبغي مراجعة الطبيب على الفور أو طلب الرعاية الطبية الطارئة في الحالات الشديدة.

جدري القرود..
لا داعي للهلع من عودة انتشاره

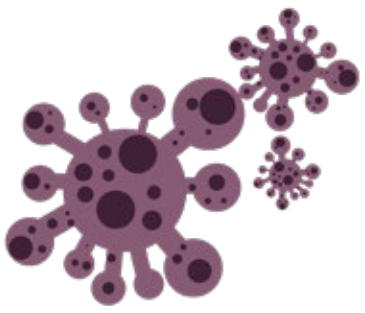

د. أكرم خولاني

أعلنت منظمة الصحة العالمية، في 7 من آب الحالي، عن تصنيف جدري القرود كحالة طارئة على الصعيد العالمي، وهي المرة الثانية خلال عامين، بعد أن كان هذا المرض قد انتشر في العام 2022 خارج البلدان التي كان يظهر فيها سابقًا (غرب ووسط إفريقيا) وشكّل فاشية عالمية.

جدري القرود مرض تشابه أعراضه كثيرًا تلك التي شوهدت في الماضي لدى مرضى الجدري، وقد اكتشف أول مرة عام 1958 في الدنمارك لدى مجموعات من القرود كانت قد احتجزت لأغراض البحث، وتم الإبلاغ عن أول إصابة عند البشر عام 1970 في جمهورية الكونغو الشعبية.

ولا يشكّل جدري القرود خطرًا كبيرًا، فهو أقل خطورة من الناحية السريرية من مرض الجدري، لذا لا داعي للهلع أو الخوف على خلفية إعلان منظمة الصحة العالمية حالة الطوارئ، ولا يتطلب انتشار هذا المرض استنفارًا عالميًا كما حدث مع جائحة "كورونا" عام 2019، إلا أنه يجب التعرف إلى طرق العدوى والأعراض سبل الوقاية لتجنب تفشي المرض.

ما مرض جدري القرود

جدري القرود أو جدري القردة (Monky-pox-Mpox) هو مرض فيروسي معدٍ يسببه فيروس جدري القرود أو جدري النسناس (Monkypox Viruse-MPXV)، يؤدي إلى ظهور أعراض عامة لدى المصاب مع طفح جلدي، ورغم ارتباط اسم المرض بالقرود، فإنها لا تشكّل المصدر الوحيد له، فقد وجدت في إفريقيا دلائل على الإصابة بفيروس جدري القرود بالعديد من الحيوانات بما في ذلك السناجب، والجرذان، والزغبات، إضافة إلى أنواع مختلفة من القردة طبعًا، ولم يحدد الخزان الطبيعي لهذا الفيروس بعد، على الرغم من أن القوارض هي المصدر الأكثر احتمالًا.

هذا المرض أكثر شيوعًا لدى الأطفال، مع إمكانية إصابة البالغين، لكن 90% من الحالات في إفريقيا كانت لأطفال دون 15 عامًا.

وقد أشارت التقارير إلى أن لقاح الجدري يقلل من خطر الإصابة بمرض جدري القرود، إلا أنه وبعد استئصال الجدري في عام 1980 توقف التطعيم ضده، لذلك فإن الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن 40 إلى 50 عامًا (حسب البلد) قد يكونون أكثر عرضة للإصابة بجدري القرود من الأشخاص الأكبر منهم سنًا.

ورغم أن جدري القرود ليس شديد الخطورة، فإن نسبة الإماتة قد تصل أحيانًا إلى 11% من عموم المصابين، وتكون أعلى بين الأطفال الصغار، وقد بلغت 3–6% من المصابين في الآونة الأخيرة.

كيف تحدث العدوى

من الممكن أن ينتقل الفيروس من الحيوانات إلى الإنسان أو من شخص إلى آخر:

العدوى من الحيوان إلى الإنسان (مرض حيواني المنشأ):

تحدث عن طريق المخالطة المباشرة لدماء الحيوانات المصابة أو سوائلها الجسدية أو آفاتها الجلدية أو إفرازاتها المخاطية، وذلك عن طريق العضّات أو الخدوش، أو في أثناء ممارسة أنشطة مثل الصيد أو السلخ أو نصب الفخاخ أو الطهو أو العبث بالجيف، ويعد تناول اللحوم غير المطبوخة جيدًا والمنتجات الحيوانية الأخرى المستمدة من الحيوانات المصابة أحد عوامل الخطر المحتملة.

العدوى من إنسان إلى إنسان:

يحدث انتقال العدوى عن طريق المخالطة الوثيقة من خلال الملامسة المباشرة للجلد المعدي أو الآفات الأخرى كتلك التي توجد في الفم أو الأعضاء التناسلية، وتكون هذه الملامسة في أثناء الحديث عبر القطيرات التنفسية (ملامسة الوجه للوجه) أو لمس الجلد أو ممارسة الجنس المهبلي/الشرجي (تلامس جلدي) أو التقبيل (ملامسة الفم للفم) أو الجنس الفموي أو تقبيل الجلد (ملامسة الفم للجلد) أو ملامسة أشياء ملوثة حديثًا كالملابس والفرش والبياضات.

ويتطلب انتقال العدوى عبر القطيرات التنفسية (الرذاذ) اتصالًا طويلًا وجهًا لوجه، وهذا يجعل العاملين الصحيين وأفراد الأسرة وغيرهم من الأشخاص المخالطين للحالات النشطة أشد عرضة لخطر الإصابة بالعدوى، كما أن إمكانية العدوى عن طريق الممارسات الجنسية تجعل الأشخاص الذين لديهم شركاء جنسيون متعددون معرضين لخطر أكبر.

ويمكن أن تنتقل العدوى أيضًا عن طريق المشيمة من الأم إلى الجنين (ما قد يؤدي إلى جدري القردة الخلقي) أو في أثناء المخالطة اللصيقة خلال الولادة وبعدها.

ما أعراض الإصابة

تبلغ فترة حضانة الفيروس (وهي الفترة الفاصلة بين مرحلة الإصابة بالعدوى ومرحلة ظهور الأعراض) المسبب لهذه الإصابة حوالي أسبوع، ولكن يمكن أن تظهر الأعراض خلال يوم وحتى ثلاثة أسابيع من التعرض للفيروس، ويمكن تقسيم العدوى إلى فترتين:

فترة الغزو (تدوم بين صفر يوم و5 أيام):

تتسم بالحمى والصداع المبرح وتضخم العقد اللمفاوية والشعور بآلام في الظهر والعضلات وبوهن شديد، ويعد تضخم العقد اللمفاوية سمة مميزة لجدري القرود مقارنة بالأمراض الأخرى التي قد تبدو في البداية مشابهة له (الجدري المائي والحصبة والجدري).

فترة ظهور الطفح الجلدي:

تبدأ عادة في غضون يوم واحد إلى 3 أيام من ظهور الحمى، ويتركز الطفح الجلدي غالبًا على الوجه والأطراف وليس على الجذع، فهو يصيب الوجه (في 95% من الحالات)، وراحتَي اليدين وباطن القدمين (في 75% من الحالات)، كما تتأثر الأغشية المخاطية للفم (في 70% من الحالات)، والأعضاء التناسلية (في 30%)، والملتحمة (في 20%)، وكذلك القرنية، ويتطور الطفح الجلدي تدريجيًا من بقع (آفات ذات قاعدة مسطحة) إلى حطاطات (آفات صلبة ناتئة قليلًا)، ثم حويصلات (آفات مليئة بسائل شفاف)، فبثور (آفات مليئة بسائل يميل إلى الصفرة)، قبل أن تتحول إلى قشور تجف وتتساقط، وقد يلزمها 3 أسابيع حتى تختفي تمامًا.

ويتفاوت عدد الآفات الجلدية من بضعة إلى عدة آلاف، وفي الحالات الشديدة يمكن أن تلتحم الآفات حتى تنسلخ أجزاء كبيرة من الجلد.

يتعافى معظم المصابين في غضون أسبوعين إلى أربعة أسابيع دون الحاجة إلى دخول المستشفى، لكن أحيانًا قد يكون جدري القرود شديدًا وقاتلًا، وترتبط شدة المرض بمدى التعرض للفيروس والحالة الصحية للمريض، لكن بشكل عام يُعتقد أنه يكون أكثر حدة عند الأطفال والحوامل ومن يعانون ضعف المناعة.

كيف تُشخّص الإصابة

قد يكون التعرف على جدري القردة أمرًا صعبًا لأن العدوى والاعتلالات الأخرى قد تبدو متشابهة، ومن المهم التمييز بين جدري القردة والحماق والحصبة والتهابات الجلد البكتيرية والجرب والهربس والزهري وغيرها من أنواع العدوى المنقولة جنسيًا والحساسية الناتجة عن الأدوية.

ويحدث الاشتباه بجدري القرود عن طريق الأعراض والعلامات، ويكون تضخم العقد اللمفاوية خلال مرحلة ظهور بوادر المرض سمة سريرية تميزه، وفي حالة الاشتباه يجب أخذ عينة مناسبة من المصاب وإجراء فحص مخبري باستخدام تفاعل البوليميراز التسلسلي (PCR) لتأكيد التشخيص، وتعد العينات التشخيصية المثلى لجدري القردة تلك المأخوذة من الآفات الجلدية- سقف أو سوائل الحويصلات والبثور والقشور الجافة.

وننوه إلى أن فحوص الدم التي تُجرى بواسطة تفاعل البوليميراز المتسلسل غير قطعية بسبب قصر مدة وجود الفيروس في الدم مقارنة بتوقيت أخذ العينة بعد بدء ظهور الأعراض، كذلك فإن الكشف عن العدوى عن طريق المستضدات والأجسام المضادة لا يفيد في تأكيد الإصابة بجدري القردة تحديدًا لأن الفيروسات الجدرية متصالبة التفاعل مصليًا كما أن المطعمين، حديثًا أو قديمًا، بلقاح قائم على جدري البقر الموهن قد يؤدي إلى إيجابية كاذبة.

شديدة البرودة، وبهذا يمكن منع تطور الحالة.

"Kingston" تعلن عن "فلاش" بسعة 2 تيرابايت ووزن 29 غرامًا

تراجعت شعبية محركات أقراص "الفلاش" (USB) مع ظهور مساحات التخزين السحابية حول العالم، باعتبارها وسيلة تخزين أكثر موثوقية، لكن "الفلاش" لا يزال شائع الاستخدام في بلدات تعاني من مشكلات بسرعات الإنترنت، ووسائل الدفع الإلكتروني مثل سوريا.

ورغم تراجع الاعتماد عليها، لا تزال أجهزة التخزين المحمولة (الفلاش) لديها الكثير لتقدمه، إذ توفر مساحة تخزينية لعمل نسخة احتياطية من البيانات الثمينة، أو تشغيل الأفلام على الشاشة الكبيرة، أو نسخ الملفات من هاتف أو كمبيوتر محمول إلى آخر.

وتتمتع مساحات التخزين هذه بسعات متزايدة باستمرار، إضافة إلى تحديثات مستمرة متعلقة بسرعة نقل البيانات.

أحدث ما طرأ على ساحة صناعة "الفلاش" كان ما أعلنته شركة "Kingston" للتكنولوجيا قبل أيام، عندما قالت إنها ابتكرت حلًا مريحًا للغاية للنسخ الاحتياطي للملفات، وأصدرت منتجها الأحدث في هذا الخصوص.

وقالت الشركة، إن منتجها يتميز بالقوة، وسرعات تصل إلى 1050 ميجابايت/ثانية، وسعات عالية تصل إلى 2 تيرابايت، ما يوفر سرعة ومساحة كبيرة لتخزين البيانات القيمة.

وتستخدم وحدة التخزين هذه 112 طبقة من طبقات تخزين البيانات الداخلية للوصول إلى السعة والسرعة الكبيرتين لها.

وأضافت أن قرص "الفلاش" الجديد متوافق مع كل من أجهزة "USB Type-C® 3" و"USB Type-A".

المنتج الذي حمل اسم "XS1000" يضمن إمكانية الوصول بسهولة إلى المستندات المهمة وملفات الوسائط دائمًا، مع كفاءة تخزين مبسطة من سعة تخزين "SSD" خارجية.

هيكل الوحدة مصنوع من الألمنيوم (لتشتيت الحرارة الناجمة عن نقل البيانات بسرعات كبيرة)، وفق ما أعلنت عنه الشركة عبر موقعها الرسمي.

وتتميز هذه الوحدة بوزنها الخفيف الذي يبلغ 28.7 غرام، وبحجم صغير، ما يمكن من حملها بسهولة في أي جيب مهما كان صغيرًا.

ومع المزايا التي توفرها سعة الخزين، لا يعتبر سعرها رخيصًا مقارنة بذواكر التخزين الأخرى، إذ تتوفر اليوم على متجر "أمازون" بسعر تجاوز 130 دولارًا أمريكيًا للون الأسود منها بسعة 2 تيرابايت.

سينما

"دمشق 2011".. عمل ضعيف ينمّط الثورة السورية

يتكون العمل السينمائي من مجموعة من العناصر الفنية التي يقودها المخرج المسؤول عن العمل بالتعاون فنيًا وعلى صعيد الرؤية مع باقي طاقم الفيلم.

يشكّل السيناريو الجيد أساسًا لكل فريق العمل لإنتاج فيلم جيد وعلى سويّة فنية عالية، من التصوير إلى الصوت والمونتاج، وكذلك الإنتاج والموسيقا، وأداء الممثلين، كل هذه العناصر تعتمد بالمقام الأول على القصة الجيدة والسيناريو المحكم البناء، والحوار القادر على دفع الأحداث إلى الأمام وتقديم الإضافة المطلوبة.

في نيسان الماضي، طُرح عبر منصة "يوتيوب" فيلم قصير حمل اسم "دمشق 2011"، من تأليف وإخراج محمد الكردي، ويتحدث عن الأشهر الأولى لانطلاق المظاهرات المطالبة برحيل رئيس النظام السوري، بشار الأسد.

ضمن التعريف الذي وضعته الشركة المنتجة (رؤيا للإنتاج الفني) للفيلم، فإنه "يقدم صورة واقعية ومؤثرة للأحداث التي شهدتها سوريا في بداية الثورة"، و"يستعرض قصصًا شخصية ملهمة ومأساوية للأفراد الذين تأثروا بسبب تصاعد الأحداث وسياسات النظام القاسية".

من حق أي شركة إنتاج أن تقدم تعريفها ورؤيتها لفيلم تقدمه للجمهور، لكن الفيلم الذي بلغت مدته 24 دقيقة تقريبًا لا يقدم أي صورة مؤثرة سوى عبر دغدغة المشاعر وذكريات السوريين ممن شاركوا في المظاهرات الأولى، وتأتي هذه الصورة فقط عبر التذكير أن هناك مظاهرات حدثت.

وباستثناء صوت ضعيف لمظاهرة في مطلع الفيلم، لا يوجد أي مشهد واقعي يمكن البناء عليه، حتى المشهد الذي يظهر وسط دمشق وقد تصاعدت منها دخان أسود كنتيجة لانفجارات، لم يخدم هذه الفكرة أو يوصلها للمشاهد.

تدور القصة حول مجموعة من الشباب ممن ينجحون بالإيقاع بضابطين للنظام السوري، أحدهما متهم بتعذيب معتقلين، خلال البحث عن حقيبة تضم أسماء متعاونين مع الثوار ضد النظام.

يُعرف السيناريو الجيد من تفاصيله التي تظهر على الشاشة بما في ذلك القصة والحبكة، والأخيرة بدت غائبة، وتعامل صناع العمل معها بسذاجة شديدة، إذ أظهرت أنه يمكن ببساطة لأي مواطن أي يتحدث مع ضابط رفيع بهدوء ويقنعه بالذهاب معه وتغيير ملابسه وإيقاعه بالفخ الذي سيؤدي إلى إعدامه لاحقًا.

يستكمل الفيلم مشاهده بالوصول إلى مجموعة من الشبان الجالسين في أحد المنازل، ويقررون رفع السلاح من باب "الواجب الشرعي" وعلى اعتبار أن النظام "لا يفهم سوى لغة القوة"، وذلك بعد انتشار المظاهرات في جميع أنحاء البلاد، مع التمتمة بعبارات وشعارات دينية بحتة، وإهمال حراك شرائح واسعة، أو حتى وجود فصائل مسلحة غير مؤدلجة دينيًا، وكذلك نضالات سياسية وفكرية.

بدا أن الفيلم هدفه الترويج بأن الثورة السورية أو مظاهرات السوريين لم يكن لها سوى وجه واحد فقط، وهو الوجه المتشدد، وهذا على الأقل ما يمكن فهمه من الحبكة، إذ تتطابق مع ما حاول النظام السوري الترويج له أيضًا منذ 2011.

مع هذه النقاط كلها، وضعف الإخراج والفكرة المراد طرحها والسيناريو، كان أداء الممثلين ضعيفًا.

ولم ينجح الفيلم فنيًا باستغلال عناصره أو إيصال أفكار جديدة في وقت اختلفت فيه النظرة إلى سوريا وثورتها، رغم الإمكانيات الواضحة على صعيد الإنتاج.

وفكريًا، يركّز العمل على شريحة واحدة من المجتمع السوري ممن خرجت ضد النظام في 2011، التيارات الإسلامية، ويمكن ملاحظة هذه النقطة تحديدًا من خلال تفاصيل بسيطة، شكل الشباب "الثائر"، المصطلحات المستخدمة، حتى المرأة لم تحضر سوى في مشهدين، الأول على سجادة صلاة والثاني خلال عملية اعتقال، وكلاهما لا يتعدى طوله ثواني معدودة.

كتاب

"تزوجتك أيتها الحرية".. ديوان شعر معاصر منذ 36 عامًا

يعتبر ديوان "تزوجتك أيتها الحرية" واحدًا من أبرز دواوين الشعر السياسية للشاعر السوري الراحل نزار قباني، الذي قدّم أكثر من تجربة شعرية على مستوى الديوان والقصيدة في المجال السياسي.

الديوان الصادر عام 1988، رغم مرور 36 عامًا على صدور طبعته الأولى، يبدو معاصرًا بالنظر إلى الموضوعات التي تناولها، والقضايا الإشكالية التي طرحها، ويلخّص فيها عبر نصوص قصيرة نسبيًا صورة الحياة السياسية في سوريا، بأسلوب مباشر أو غير مباشر، وهو ما يبدو من بداية الديوان الذي يستهله بمدخل قصير، جاء فيه، "ما بوسع السياف قطع لساني، فالمدى أزرق وعندي أظافر".

في الديوان، وكما يبدو من الاسم، انتصار للحرية بأكثر من شكل وصورة، وانتصار للشاعر والكاتب، بمقارنات محسومة بين الوضع في الغرب والشرق، وما يمنح الديوان بريقًا مقاومًا لعامل الزمن، حالة الجفاف الفكري في الوقت الراهن، وعزوف النص وكاتبه عن الحالة السياسية في سوريا، رغم صدور الكثير من الكتب والإصدارات في هذا الإطار، لمحاكاة ما جرى خلال الـ13 سنة الماضية، مع فارق أن كثيرًا من هذه الإصدارات دخل في إطار الرواية والقصة والحكاية، في غياب واضح للقصيدة السياسية دون نفي وجودها كليًا.

"كان الشاعر يأكل من أوراق الورد، وكان ينام بأحضان الصفصاف، ثم أتى عصر عربي، صار الشاعر فيه ينام بأحضان السياف"، وهذه قصيدة كاملة، عنوانها "كان الشاعر"، وتشكل بدورها مدلولًا عامًا على محتوى الديوان الذي لا تغيب عنه شتيمة السيّاف في مكان، حتى يبرز تمجيد الحرية في مكان آخر.

استطاع نص نزار قباني بلغته القريبة المعهودة البعيدة عن المبالغة أو الإعجاز اللغوي، منح بعض الرموز مدلولاتها اللغوية الثابتة أو التي عمل على تثبيتها عبر تكرار غير عبثي للكلمة أو المصطلح في النص، فلم يأتِ تكرار كلمة "السيّاف" جزافًا أو اعتباطيًا، إلى جانب أمثلة أخرى تدور في الفلك نفسه، كما أن دلالات المصطلح لم تتغير خلال هذه الفترة، رغم مرور عقود، فالسيّاف لا يزال يتحكم بحياة ورقاب الناس، مع تغيير في الاسم وانتقال مزاولة الاستبداد من الأب إلى الابن.

نزار قباني شاعر ودبلوماسي سوري ولد عام 1923، في حي مئذنة الشحم العريق بالعاصمة السورية دمشق، وهو حفيد "أبو خليل القباني"، أحد رواد المسرح السوري، ويقول أبناؤه تعليقًا على ولادته في 21 من آذار ورحيله في 30 من نيسان 1998، "ولد في الربيع ورحل في الربيع، الربيع كان قدره كما كان الشعر".

وفي كتابه النثري "قصتي مع الشعر"، يقول نزار قباني، "الأرض وأمي حملتا في وقت واحد، ووضعتا في وقت واحد".

36 ديوانًا من الشعر، و12 كتابًا في النثر، بما فيها كتاب يروي السيرة الذاتية لقباني حمل اسم "من أوراقي المجهولة"، إلى جانب مسرحية بعنوان "جمهورية جنونستان"، كل ذلك كان إنتاج نزار قباني الذي تنوعت مواضيعه بين السياسة والحب والغضب والثورة والمرأة في البدء والخاتمة.

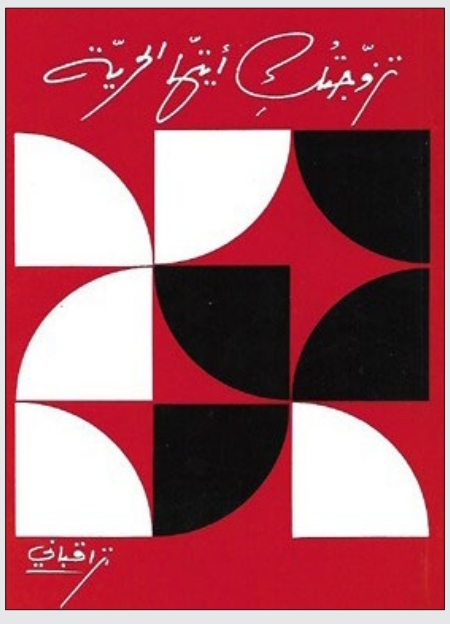

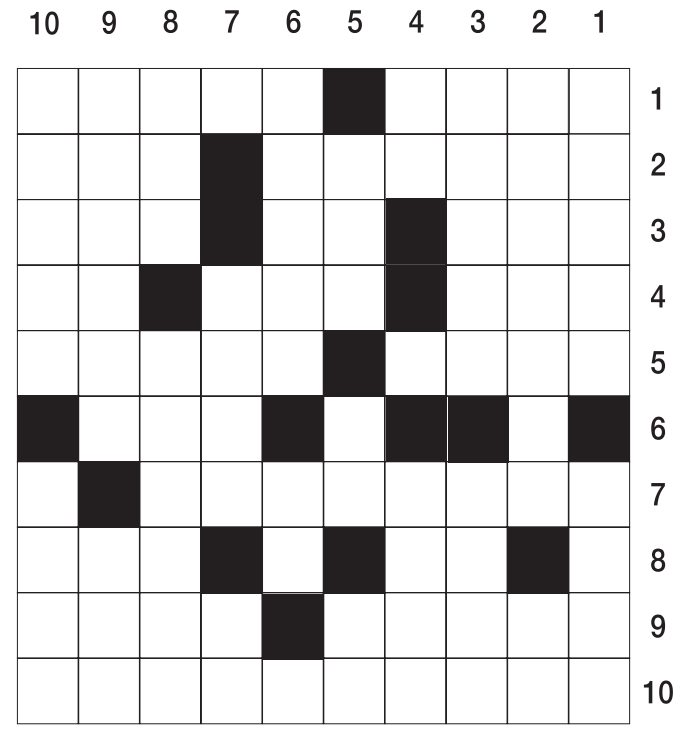

					■				
			■						
			■			■			
		■				■			
					■				
■				■		■	■		■
	■								
			■		■			■	
				■					

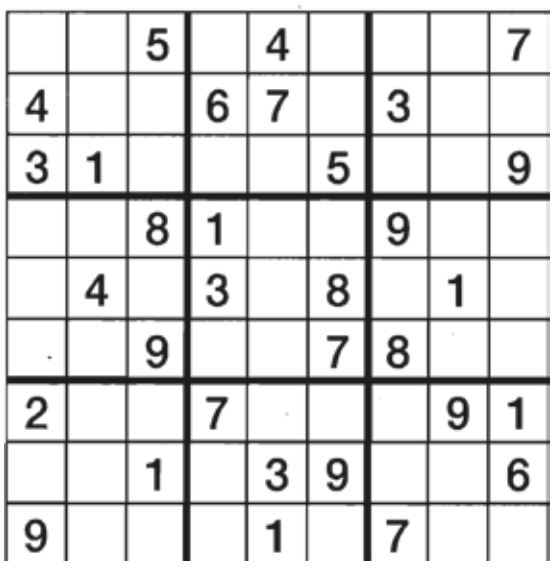

		5		4				7
4			6	7		3		
3	1				5			9
		8	1			9		
	4		3		8		1	
		9			7	8		
2			7				9	1
		1		3	9			6
9				1		7		

لعبة تتكون من 9 مربعات كبيرة 3×3، و81 مربع صغير 9×9.
تكون بعض المربعات الصغيرة معبأة بالأرقام بدايةً، وعلى اللاعب إكمال باقي المربعات باستخدام الأرقام من 1 إلى 9، في كل واحدٍ من المربعات التسعة الكبيرة، وفي كل صفٍ أو عمود.

أفقي

١. هاجم فجأة o معدن نبيل (لا يتفاعل مع العناصر الأخرى)
٢. المادة الرئيسية في لب الخشب وجدران الخلية o عدد سنوات حياة الانسان من يوم مولده حتى مماته
٣. تنتشر وتغطي o جواب o متأدب في سلوكه وذو رفعة
٤. ضمير متكلم o منطقة مليئة بالبساتين o حرف نداء
٥. حصيلة o الاسم القديم للبحرين
٦. مرض السل
٧. الاسم القديم لعمان العاصمة الاردنية في العصر الروماني
٨. هرب o حطم
٩. أول انتحاري في التاريخ الذي هدم المعبد عليه وعلى أعدائه o مخيم في بيروت
١٠. محتلون ومستغلون للأرض والبشر

عمودي

11. حديقة أشجار مثمرة o اسم علم مذكر بمعنى الأكثر شرفا (معكوسة)
12. البلابل o لمس
13. سحابات o أعلنت سرا
14. جبل صغير o أدوات حربية للوقاية من العدو
15. انتفاخ جلدي o يطلبه كل من وقع في مشكلة o تكلم عن الآخرين في غيابهم
16. بلع الأكل بلا مضغ o حرف جر
17. مصنوع من الجلد o وضع شيئًا في صرة
18. خوف شديد o ربان المركب
19. ثاني اكبر اباطرة المغول ولد في كابول وتوفي في دلهي o شجر رفيع وطويل للحماية من الريح
20. اكبر حقل نفط كويتي o يشعر بالحر

6	9	4	3	5	8	1	7	2
5	8	1	7	9	2	6	3	4
2	7	3	6	1	4	9	8	5
3	2	6	8	7	5	4	9	1
9	5	7	2	4	1	8	6	3
1	4	8	9	3	6	2	5	7
8	3	9	1	2	7	5	4	6
4	6	2	5	8	3	7	1	9
7	1	5	4	6	9	3	2	8

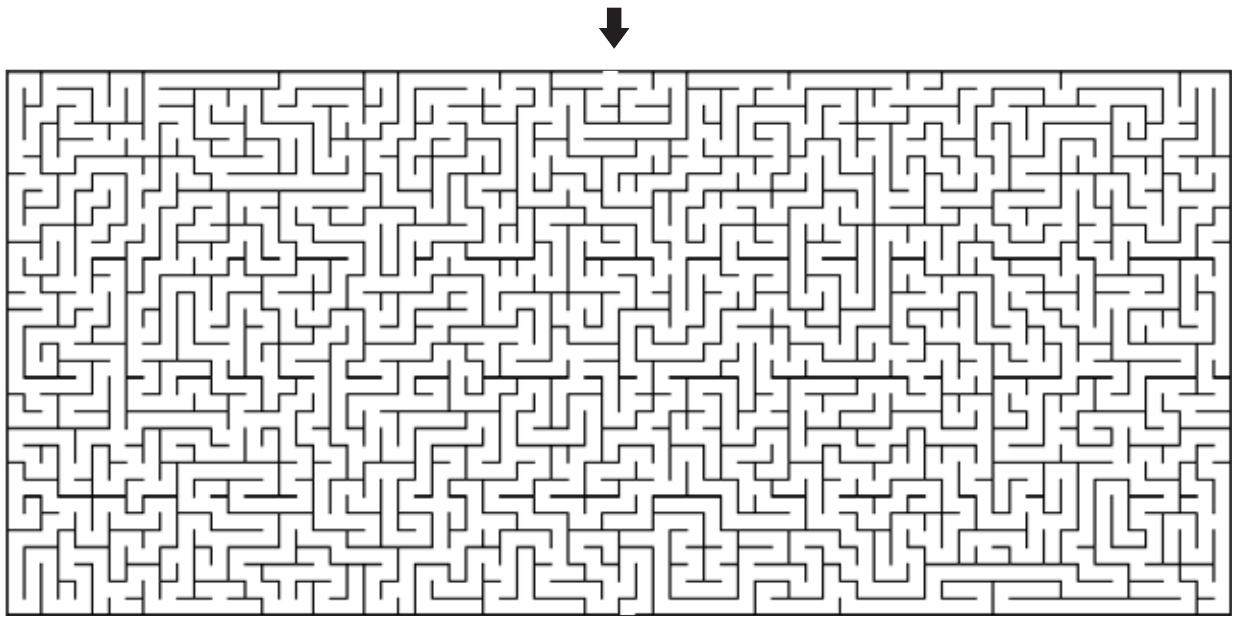

للمشاركة في تحرير صفحات "عنب بلدي" يمكنكم إرسال مشاركاتكم
عبر البريد الإلكتروني إلى editor@enabbaladi.org

الآراء الواردة في الجريدة لا تعبر بالضرورة عن رأي عنب بلدي

دارت رحى الدوريات الأوروبية من جديد

عروة قنواتي

بنفس موعدها وعلى أطلال اليورو وكوبا أمريكا ومسابقة كرة القدم في الأولمبياد الأخير (باريس 2024)، انطلقت وتنطلق الدوريات والمسابقات الكروية الأوروبية تباعًا، الخمسة الكبرى هي الشغل الشاغل لعشاق الساحرة المستديرة في كل موسم، وقد يخفت ضوء الفرنسي منها هذا الموسم بعد رحيل آخر فرسان حديقة الأمراء، كيليان مبابي، إلى النادي الملكي. طفرة النجوم بين بعض الأندية الفرنسية وعلى رأسها باريس سان جيرمان لم تعد موجودة الآن.

ويتأخر الدوري الألماني عن باقي الدوريات أسبوعًا كاملًا كما جرت العادة، وتكون الكرة الألمانية حاضرة عبر السوبر الألماني، الذي يجمع في افتتاح الموسم الجديد باير ليفركوزن بطل الدوري والكأس مع نادي شتوتغارت، بغية تحقيق اللقب الثالث لليفركوزن في عهد السيد تشابي ألونسو.

وفي مواجهة تاريخية يغيب عنها بايرن ميونيخ وبوروسيا دورتموند معًا للمرة الأولى منذ عام 1993، ومع تبدلات الخارطة الخاصة بالأندية، من المفترض أن نشاهد موسمًا مثاليًا متقلب السيطرة والنفوذ مع مدرب جديد للبافاري ورحلة شاقة للجراد الأصفر كما المعتاد، ومحاولة التمسك باللقب في خزائن ليفركوزن بطل الموسم الماضي وبانتظار ما قد يفعله نادي لايبزيغ إن كان لديه ما يقوله.

على صفيح ملتهب ينتظر عشاق الليجا الإسبانية صافرة البداية للثلاثي الأكبر بين أندية الدوري (ريال مدريد، برشلونة، أتلتيكو مدريد)، مع سلسلة الصفقات التي دخلت إليها، ومنها من كشر عن أنيابه مبكرًا بهدف ولقب جديد، والحديث هنا عن كيليان مبابي الفائز مع الريال قبل أيام بلقب السوبر الأوروبي على حساب أتالانتا الإيطالي بهدفين دون رد، حيث وقع مبابي على الهدف الثاني للفريق والأول له رسميًا بالقميص الملكي.

أمام هذه الصورة الواضحة في بداية الصراع للموسم الجديد، تبرز صفقات السيد سيميوني مدرب أتلتيكو بأنها ليست للتجميل أو للترقيع، بل للبحث عن لقب مهم في موسم هو الأهم منذ خمس سنوات تقريبًا، وأبرز هذه التعاقدات تجلت في وصول ألفاريز من السيتي، وعودة جواو فيليكس من البارسا، وقدوم روبين لو نورماند المدافع في سوسيداد والمهاجم سورلوث من فيالريال، وهذا يعني أن الروخي بلانكوس لا ينوي المجاملة هذا الموسم مع الغريمين التقليديين الملكي والبارسا.

البارسا إلى الآن غير مقنع في استعداده على الرغم من تغيير البنية الفنية للفريق بالكامل مع قدوم السيد هانزفليك مكان السيد تشافي، ورغم استبعاد بعض اللاعبين والتعاقد مع أولمو الذي برع مع المنتخب الإسباني في اليورو الأخير، فإن عشاق البارسا ينتظرون إشارة الطمأنينة على الأقل في المنافسة المحلية، ولربما هزيمة كأس البريستيج (خوان غامبر) أمام موناكو الفرنسي بثلاثية نظيفة ستجعل الأوراق مكشوفة منذ البداية بين الجهاز الفني والإعلام، وبين الإعلام والجمهور.

في البريميرليغ لا جديد يقال أو يعاد، فكل من يتابع الكرة الإنجليزية يقول لك: دعنا لا نتكلم حتى انقضاء مرحلة الذهاب، فلا فوز اليونايتد بأول الأسابيع، ولا تعثر تشيلسي ولا صمود ليفربول بعد رحيل يورغن كلوب، ولا رعب السيتي سيعطي العنوان الحقيقي للمنافسة، لذلك ننتظر ماذا ستصنع الصفقات الجديدة والأجهزة الفنية المتبدلة في الأسابيع الأولى من الموسم.

متابعة طيبة لكل عشاق الساحرة المستديرة في موسم 2024-2025.

بمشاركة 19 ناديًا..

دوري كرة قدم تصنيفي لفئة الشباب في إدلب

دوري لفئة الشباب في إدلب من أجل تصنيف الأندية المشاركة إلى مستويين أول وثاني – آب 2024 (عنب بلدي/ أنس الخولي)

إدلب – أنس الخولي

في 8 من آب الحالي، انطلق على أرضية "الملعب البلدي" في إدلب دوري تصنيفي لأندية كرة القدم لفئة الشباب على مستوى شمال غربي سوريا، برعاية "الاتحاد السوري الحر لكرة القدم"، بمشاركة 19 فريقًا.

ويهدف الدوري إلى تصنيف الأندية المشاركة إلى مستويين أول وثان، واشترط "الاتحاد السوري الحر" أن يكون تاريخ تولد اللاعبين -2005 2006 فقط، ليشارك في الدوري 19 ناديًا من أصل 36 نادي كرة قدم توجد شمال غربي سوريا.

رئيس مكتب الألعاب الجماعية في المديرية العامة للرياضة والشباب، فراس تيت، قال لعنب بلدي، إن من الضروري جدًا الاهتمام بفئتي الناشئين والأشبال مصنفين، وإن ما يجري حاليًا هو تصنيف فئة الشباب.

وقُسمت الأندية المشاركة إلى أربع مجموعات، تضم ثلاث منها خمسة أندية، أما المجموعة الرابعة فتضم أربعة أندية، وفق تيت.

وسيتم تصنيف الفريق الأول والثاني من كل مجموعة ضمن فئة الدرجة الأولى، والثالث والرابع والخامس في كل مجموعة ضمن فئة الدرجة الثانية.

وأضاف الكابتن فراس تيت أنه بعد الانتهاء من الدوري التصنيفي الذي يستمر لمدة شهر، ستتم دعوة جميع أندية كرة القدم في جميع الفئات لعقد مؤتمر عام يحدد رزنامة المسابقات في العام المقبل، ويضع اللوائح التنظيمية والانضباطية للعبة.

قلة خبرة ومال

اعتادت أندية كرة القدم تدريب لاعبيها في ملاعب سداسية، وهي صغيرة مقارنة بالملاعب النظامية، إضافة إلى ظروف قاسية يعانيها اللاعبون تحول دون قدرتهم على التدرّب بشكل منتظم.

حمزة المراد لاعب فئة شباب في نادي جبل الزاوية، ويقيم في قرية البارة التي تتعرض للقصف من قوات النظام بشكل دائم لبعدها عن خط التماس نحو كيلومترين فقط، ترك أهله في القرية، وتوجه للمشاركة في الدوري التصنيفي برفقة ناديه، مع تأهبه بشكل دائم للعودة إلى قريته في أي لحظة في حال تعرضها للقصف.

قال حمزة لعنب بلدي، إنه يشارك في المباريات وتفكيره مشغول بحال أهله، كما ينظر إلى صديقه خارج الملعب باستمرار للتأكد من عدم حدوث مكروه خلال المباراة، معتبرًا أن مشاركة الشباب في هذه الفئة ضرورية جدًا لاكتساب خبرات المشاركة في البطولات.

واعتبر فؤاد الأمين، وهو رئيس نادي جبل الزاوية، أن فئة الشباب مهمة جدًا لرفد فريق الرجال بالمواهب الصاعدة، ولاكتساب الشباب خبرات اللعب في الملاعب الكبيرة، والتعرض لضغط البطولات، ما يزيد من خبرات اللاعبين الشباب ويرفع مؤهلاتهم للعب في فئة الرجال.

وقاله الأمين لعنب بلدي، إن لاعبي الأندية المشاركة في الدوري التصنيفي يواجهون عدة صعوبات، على رأسها عدم مشاركتهم في بطولات على ملاعب نظامية كبيرة، وعدم تجانس الفرق بسبب حداثتها، إضافة إلى صعوبات مالية وعدم القدرة على تأمين أدنى مستلزمات التمرين.

تجربة جديدة

مدرب نادي ترمانين عمر زكريا قال إنه بالرغم من جميع الصعوبات، استطاع النادي المشاركة ليخوض تجربة جديدة يفتقر لها جميع اللاعبين.

وذكر أنه قبل هذا الدوري لم يكن لدى النادي فريق للشباب، لكن الإدارة جمعت اللاعبين الذين بالكاد يعرفون بعضهم قبل انطلاق الدوري بفترة قصيرة جدًا، وشكّلوا فريقًا.

حمزة دحكول، لاعب في نادي ترمانين، عبّر عن أمله في تحسن مستوى فريقه بالأيام المقبلة، معتبرًا أن أجواء الدوري جيدة والتنظيم ممتاز، وما ينقص الفرق المشاركة هي خبرة اللعب الجماعي على أرضية الملاعب الكبيرة.

وتوجد في منطقة إدلب ثلاثة ملاعب لكرة القدم فقط، "الملعب البلدي" الذي تقام عليه بطولات الأندية من الدرجة الأولى، و"الملعب المعشب" الذي تقام عليه بطولات الدرجة الثانية، وملعب "أريحا" الذي لا تقام عليه بطولات عادة خشية تعرضه للقصف من قوات النظام.

وساعد ازدهار الرياضة في إدلب وخصوصًا كرة القدم في تأمين ريع جيد لهذه الرياضة، يسهم بشكل محدود في تحسن مستوى كرة القدم بالمنطقة، مع وعود من "الاتحاد السوري الحر لكرة القدم" بالعمل على تشييد ملاعب جديدة تساعد في تحسن مستوى اللعبة.

أوريلي..

نجم خط الوسط لمستقبل مانشستر سيتي

شارك لاعب كرة القدم الشاب نيكو أوريلي لأول مرة مع الفريق الأول لمانشستر سيتي في مباراة رسمية، ليكون أحدث نجم في الأكاديمية يثير إعجاب المدرب بيب غواردیولا، ويفرض اسمه في تشكيلة تضم كوكبة من النجوم.

رغم خوضه مباريات في الموسم التحضيري للسيتي، لعب صاحب الـ19 عامًا 63 دقيقة في نهائي بطولة "الدرع الخيرية" ضد مانشستر يونايتد في ملعب "ويمبلي"، والتي حسمها السيتي بركلات الترجيح 6-7، بعد التعادل بهدف لمثله.

يتمتع أوريلي بالقدرة على اللعب في عدد من المراكز الهجومية، وقد تطور خلال الفئات العمرية لمانشستر سيتي منذ انضمامه إلى الأكاديمية وهو في الثامنة من عمره، ويتميز بدقة التمرير، ومهاراته الفردية من مراوغة وحسن تسلم للكرة.

وعن إمكانية تعيين أوريلي بديلًا للمخضرم رودري الذي يعتبر عمومًا الوظيفة المستحيلة في النادي، قال غواردیولا، "أنا متأكد تمامًا من أن أوريلي يستطيع مساعدتنا، يمكنه اللعب حتى كلاعب وسط مدافع عندما لا يكون رودري موجودًا".

اعتبرت إدارة السيتيأن أوريلي هو النجاح الكبير الذي حققه الفريق في فترة ما قبل الموسم، وأن لاعب الوسط طويل القامة يمتلك خبرة كقائد لفريق تحت 18 عامًا، وأن رباطة جأشه وطاقته ولمساته "الحريرية" هي أكثر ما يجذب الانتباه عند مشاهدته.

وذكر موقع مانشستر سيتي الرسمي أن أوريلي يعد مثالًا آخر على القدرة الفنية العالية المطلوبة للارتقاء إلى المستوى المطلوب في الفريق.

شارك أوريلي لأول مرة مع الفريق الأول للسيتي في تموز الماضي، حيث بدأ في مباراة ودية قبل الموسم ضد سيلتيك، ويعتبر لاعب وسط ماهرًا وديناميكيًا، ويتمتع ببنية جسدية قوية، إذ يبلغ طول اللاعب 1.93 متر.

أوريلي هو لاعب دولي مع منتخب إنجلترا للشباب، ويتم إشراكه في أغلب الأحيان بمركز لاعب الوسط المهاجم.

في موسم 2021-2022، لعب بانتظام مع فريق السيتي وفاز بلقب الدوري الإنجليزي الممتاز تحت 18 عامًا، وواصل هذا المستوى في موسم 2022-2023، حيث شارك في 32 مباراة بجميع المسابقات، وسجل 13 هدفًا وصنع 14، عندما قاد فريق تحت 18 عامًا إلى مجد الدوري الإنجليزي الممتاز تحت 18 عامًا.

استمر تطور أوريلي لموسم 2023-2024، وفاز بجائزة هدف العام في الأكاديمية عندما سجل من خط منتصف الملعب ضد نوتنغهام فورست.

فاز الشاب المولود في مانشستر بجوائز فردية في مسابقات خارجية، بما في ذلك رحلات إلى سان دييغو عندما كان يبلغ من العمر 13 عامًا، وإلى اليابان بعمر 14 عامًا، وبطولات في إسبانيا وألمانيا وهولندا ولاتفيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا والبرتغال.

عنب بلدي
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا
enab baladi
من كرْم الثورة

الأحـــد 18 آب / أغسطس 2024
العـــدد 652 – السنـــة الثالثة عشرة
www.enabbaladi.net
20 صفحة

الصراع على قانون الأحوال الشخصية في العراق

لمى قنوت

تتحول الثغرات الدستورية والنصوص الملغومة في الدساتير، بالإضافة إلى تناقض النصوص في الدستور نفسه، إلى فرص ذهبية للانقضاض على حقوق النساء بتنوعاتهن لتجردهن من كرامتهن ووكالتهن على حيواتهن وأجسادهن والاستزادة من قوننة العنف ضدهن، وما قرار تعديل قانون الأحوال الشخصية في العراق الذي تم إدراجه في جدول أعمال جلسات مجلس النواب، في 4 من آب الحالي، إلا فصل من الفصول الكارثية التي يتحالف فيها انتهازيو حراس الفضيلة، من بعض فقهاء يفتون باسم المقدس وأحزاب وقادة ميليشيا تمارس السياسة والتشريع وأحزاب تساوم على الحريات والحقوق، وتعتبر النساء والطفلات وبضمنهن الرضيعات وعاء للإنجاب وأداة للذة الجنسية.

والصراع ضد وعلى قانون الأحوال الشخصية رقم 188 لعام 1959 الذي وحد أحكام المذاهب الفقهية هو صراع قديم، فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، أصدر مجلس الحكم المُعيّن من بول بريمر في عام 2003 القرار رقم 137، وينص على إلغاء القانون وإعادة العمل في القضاء المذهبي، وبعد اعتراضات واسعة تم إلغاء القرار في عام 2004.

ومع إقرار الدستور الجديد في عام 2005، في ظل الاحتلال، أثارت المادة الملغومة رقم 41، التي تنص على أن "العراقيين أحرار في الالتزام بأحوالهم الشخصية حسب دياناتهم أو مذاهبهم أو معتقداتهم أو اختياراتهم وينظم ذلك بقانون"، اعتراضات العديد من منظمات المجتمع المدني، ونظمت حملة في عام 2006 لإدراجها من ضمن المواد الخلافية في اللجنة البرلمانية لتعديل الدستور، وأوقف العمل بهذه المادة، لكنها، وفي الوقت نفسه، أتاحت للمتربصين، فيما بعد، سندًا دستوريًا للمطالبة بتعديل قانون الأحوال الشخصية .

وخلال تلك الفترة التي ارتكبت فيها القوات الأمريكية جرائم وانتهاكات في العراق، وتراجعت سلطة القانون، ازدادت الفتاوى الدينية، وانتشرت حالات عدم تسجيل عقود الزواج والالتفاف على قانون الأحوال الشخصية الذي يمنع عقد الزواج خارج المحكمة وفق المادة العاشرة من القانون، وبالتالي لم يعد التقرير الطبي الذي يؤيد سلامة الزوجين من الأمراض السارية والوثائق التي يشترطها القانون ملزمة. وازدادت حالات الزواج المؤقت بناء على بعض الفتاوي الدينية، وازداد تزويج الطفلات دون سن 15 عامًا خارج المحكمة، وأصبح عقد الزواج يسجل فيها عندما تصبح الفتاة في العمر الذي يشترطه القانون 18 سنة، أو في العمر الذي يقره القاضي لمن بلغت 15 سنة، مع دفع غرامة بسيطة، وأصبحت بعض العشائر لا تعترف بطلاق المرأة إن حصل من خلال المحكمة، وازدادت نسبة الطلاق التعسفي.

في منتصف 2013، قدم وزير العدل، حسن الشمري، مشروعين مرتبطين مع بعضهما البعض، قانون الأحوال الشخصية الجعفري وقانون القضاء الشرعي الجعفري، إلى الحكومة، وبدورها أحالتهما إلى مجلس النواب، لكنهما جمدا بسبب سيطرة "داعش" على الموصل وارتكابها جرائم وحشية.

لم يكن طرح الشمري بعيدًا عن الغايات الانتخابية لحزبه، حزب "الفضيلة" وزعيمه الروحي محمد موسى اليعقوبي الذي شكل ميليشيا متخصصة بالآثار والنفط واستباح المال العام بالفتاوى. وحزب "الفضيلة" هو جزء من "الإطار التنسيقي"، الذي استند إلى المادة 41 من الدستور من أجل تعديل قانون الأحوال الشخصية وفق الفقه الشيعي الجعفري لإخضاع النساء والطفلات لمحاكم وتفسيرات متعددة حتى في المذهب الجعفري نفسه، والذي أدى إلى ترسيخ الطائفية، والتمييز بين النساء بناء على الدين والمذهب والمعتقد، وإحكام قبضة سلطة الفقهاء وفتاواهم المختلفة على المجتمع.

يطالب "الإطار التنسيقي" إضافة صبغة إسلامية بأبعاد مذهبية على مقترح تعديل قانون الأحوال الشخصية، وحصر حرية اختيار المذهب لتنظيم أحواله الشخصية في الزواج المختلط للرجل دون المرأة، وطالب بتقسيم مدونة الأحكام الشرعية إلى بابين، الأول طبقًا للفقه السني، والثاني طبقًا للفقه الشيعي الجعفري، ويعتمد في وضعها على الرأي المشهور عند كل مذهب، وفي حال تعذر في الفقه الشيعي الجعفري، يعتمد المجلس العلمي الرأي الذي يرجع إليه في "التقليد أكثر الشيعة في العراق من فقهاء النجف".

ومع تعدد فتاوى المرجعيات الشيعية يتم فرض فتاوى وأحكام ظلامية تنعكس أذى وعنفًا على النساء والطفلات بشكل خاص وعلى المجتمع بشكل عام، مثل: "لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دوامًا كان النكاح أو منقطعًا، وأما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة والتقبيل والضم والتفخيذ فلا بأس بها، ولو وطئها قبل إكمال التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى..."، و"لو دخل بزوجته بعد إكمال التسع فأفضاها لم تحرم عليه ولم تثبت الدية، ولكن الأحوط وجوب الإنفاق عليها كما لو كان الإفضاء قبل إكمال التسع، ولو أفضى غير الزوجة بزناء أو غيره تثبت الدية، ولكن لا إشكال في عدم ثبوت الحرمة الأبدية وعدم وجوب الإنفاق عليها...". ومثل هذه الفتاوى، تفتح شهية الإفتاء عند الجميع لقوننة وتشريع التحرش بالطفلات واغتصابهن وتغييب شرط موافقة النساء المستنيرة في حيواتهن وعلاقاتهن.

وضم تعديل القانون الذي يطالب به "الإطار التنسيقي" إلغاء نص الفقرة رقم 5 من المادة رقم 10 التي تحدد الشروط المطلوبة عند تسجيل عقد الزواج في المحكمة، والتي تنص على معاقبة كل رجل عقد زواجه خارج المحكمة "بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر، ولا تزيد على سنة، أو بغرامة لا تقل عن 300 دينار، ولا تزيد على ألف دينار"، "وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، ولا تزيد على خمس سنوات، إذا عقد خارج المحكمة زواجًا آخر مع قيام الزوجية"، وطالب "الإطار التنسيقي" باستبدال هذه الفقرة بأن "تصدق محكمة الأحوال الشخصية عقود الزواج التي يبرمها الأفراد البالغون من المسلمين على يد من لديه تخويل شرعي أو قانوني من القضاء أو من ديواني الوقفين السني والشيعي..."، وبالتالي هذه الـ"أو" ستكون لها أبعاد قانونية واجتماعية واقتصادية ونفسية بالغة الأذى، وستخضع النساء والفتيات لتفسيرات دينية مختلفة وتأويلات وفتاوى متباينة، وتحرمهن من حقوقهن في جميع المجالات، بدل أن تسير التعديلات نحو إقرار قانون أسرة حديث يكرس العدالة الجندرية وبضمنها العدالة الإنجابية.

تحالف 188 في مواجهة التعديل

وفي مواجهة تعديل قانون الأحوال الشخصية وإدراج التصويت عليه في مجلس النواب يقف تحالف 188 للدفاع عن قانون الأحوال الشخصية النافذ. ويضم التحالف مجموعة من ممثلات الحراك النسوي ومنظمات المجتمع المدني وممثلي عدد من القوى السياسية وشخصيات قانونية وأكاديمية وبرلمانية ودينية، يرفضون الاتكاء على المادة 41 في الدستور لأنها تعطل مواد دستورية أخرى، كالمادة رقم 2 في الفقرتين "ب" و "ج" اللتين نصتا على عدم تشريع قوانين تتعارض مع الديمقراطية والحقوق والحريات الواردة في الدستور، وتتعارض أيضًا مع المادة رقم 14 التي تنص على المساواة أمام القانون، وهذا التناقض في النصوص الدستورية موجود في أغلب الدساتير في المنطقة، وهو فخ يجب التنبه إليه من قبل واضعي الدستور، نساء و رجالًا.

تخوض العراقيات نضالًا ضد هذا التعديل، وتعلو أصواتهن، ويرفعن لافتات ضد تزويج القاصرات، والعبودية، وتسليع النساء والطفلات، والحرمان من الميراث والحضانة وغيرها من الحقوق، ويتم أحيانًا منعهن من التظاهر، ففي النجف مثلًا، يحاول حراس البنية البطريركية منعهن من هذا الحق بدعوى أنهن نساء.

"الإطار التنسيقي"

يقف "الإطار التنسيقي" وراء تعديل قانون الأحوال الشخصية في العراق، وهو ائتلاف سياسي ميليشياوي شيعي، حليف لإيران ولـ"الحشد الشعبي" المرتبط بها، تَشَكّل في تشرين الأول عام 2021، ويضم عددًا من الكتل السياسية، مثل، "ائتلاف دولة القانون" برئاسة نوري المالكي، وقادة ميليشيا مثل "تحالف الفتح" بقيادة هادي العامري الذي يحمل الجنسية العراقية والإيرانية، وقَاتَل إلى جانب إيران في حربها ضد العراق، وعُيّن رئيسًا لهيئة أركان 9 بدر في عام 1997، ثم أصبح قائدًا له، وفي عام 2002، أصبح العامري قائدًا لقيادة فيلق بدر، وهو الجناح العسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق وقرار الحاكم بول بريمر بحل الميليشيات، تحول فيلق بدر إلى منظمة بدر كحزب سياسي غير مسلح في عام 2004، وأصبح العامري أمينًا عامًا للحزب، ثم تفرغ للعمل العسكري الميداني كقائد لكتائب الحشد الشعبي، ومنذ حزيران 2014، أي بعد تشكيل "الحشد" بشهرين ونصف تقريبًا، وثقت، على سبيل المثال، منظمة العفو الدولية العديد من الجرائم والانتهاكات التي ارتكبها "الحشد" في العديد من المحافظات العراقية، كإعدامات خارج نطاق القضاء وقتل وتعذيب واختطاف آلاف الرجال والصبيان.

ويضم "الإطار التنسيقي" حركة عطاء، التي أسسها رئيس "هيئة الحشد الشعبي" فالح الفياض في عام 2017 كحركة سياسية أعلنت التزامها بتوصيات المرجعية الدينية، وتضم زعماء "الحشد الشعبي" وأحزابهم ورجال دين شيعة. ويضم أيضًا حزب "الفضيلة" الذي استولى زعيمه الروحي محمد موسى اليعقوبي على العديد من الموانئ العراقية، وشارك مع عدد من التكتلات السياسية في نهب المال العام وإفقار الشعب العراقي.

وبالطبع لم يكن تمرير تعديل القانون على جدول أعمال مجلس النواب بشكل مفاجئ دون صفقة مع بعض الأحزاب السنية التي ترغب في تمرير قانون العفو العام لإطلاق سراح العديد من المعتقلين الذين تم اعتقالهم ومحاكمتهم وفق قانون الإرهاب بأسلوب عشوائي، كما تشير "هيومن رايتس ووتش"، وهي مقايضات ومساومات أصبحت سمة تلازم بنية السلطة في العراق، وأحزاب تعيش على الصفقات والمصالح الفئوية .

لماذا لا نصالح إسرائيل؟

خطيب بدلة

يتفق الثوار، والمجاهدون، والمناضلون، والممانعون، على رفض مهادنة إسرائيل، أو التوصل إلى اتفاقية سلام معها، ويذكروننا، دائمًا، بأنها كيان عنصري اغتصبت أرضنا، وقتلت أطفالنا، وهجّرت شعبنا، لا ينفع معها سوى الحديد والنار، والإزالة من الوجود.

أصحاب هذا النهج يرفضون الإصغاء إلى صوت العقل، والحكمة، ويتهمون مَن يدعو للصلح بأنه انهزامي، انتهازي، أو ربما كان عميلًا للإمبريالية والماسونية العالمية.

يمكننا أن نناقش هذا المنطق الحماسي، بشيء من الهدوء والروية، ونسأل هؤلاء الإخوة: لماذا قبلتم بالاستعمار الاستيطاني العثماني، وعشتم معه، سمنًا على عسل، 400 سنة، ولا تقبلون بالاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي؟ خيار وفقوس؟ أم كيل بمكيالين؟ أنتم، مع الأسف الشديد، لستم ضد مبدأ الاستعمار بشكل عام، بدليل أنكم تقبلون بأي مستعمر مسلم، عن طيب خاطر، وتتعايشون معه، وتدافعون عن بقائه جاثمًا على صدوركم، حتى ولو جلد ظهوركم، ونهب خيرات بلدكم، وأساء معاملتكم، لا بل إنكم مستعدون للموت في سبيله، وأما المستعمر غير المسلم، فليس له عندكم إلا ما صنع الحَدَّاد.

إذا كانت ذاكرتكم ضعيفة، ونسيتم ما جرى في بلادكم، اسمعوا مني هذه الحكاية: بعدما انتصر الفرنسيون والإنجليز على المملكة العثمانية، وطردوا العثمانيين من بلادكم، سنة 1918، رضيتم بمستعمر آخر، جاء من بلاد الحجاز، هو الأمير فيصل بن الحسين بن علي، استقبلتموه بالطبول، والزمور، وعقدتم له الدبكات في ساحات دمشق، وسمحتم له أن يقيم دولته على طول البلاد السورية وعرضها. لماذا؟ الجواب بسيط للغاية: لأنه مسلم. لم تسألوا، ولم تحاولوا التأكد مما إذا كان رجلًا عادلًا أو مستبدًا، طيبًا أم خبيثا، وقفتم إلى جانبه دون قيد، أو شرط، وساعدتموه على تشكيل حكومة، وفي 8 من آذار 1920، احتفلتم معه بإعلان سوريا مملكة عربية هاشمية، وراثية، وعندما جاء الجنرال الفرنسي غورو، وأخرجه من سوريا بالقوة، زعلتم، وبكيتم، ثم بدأتم تعدون للفرنسيين ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، وباشرتم بمحاربتهم في كل مكان، حاولتم دحرهم، وطردهم من سوريا، ولكنهم، مع الأسف، غلبوكم، وأمضوا فترة الانتداب عندكم حتى آخرها، وعندما خرجوا اعتبرتم كل ما أتى من طرفهم باطلًا، حتى ولو كان مفيدًا لكم، ولأبنائكم، ثم جاءت إسرائيل، واحتلت فلسطين، ووضعت يدها على قدسكم، ومسجدكم الأقصى، فنفرتم من كل حدب وصوب، لمنعها من الاستقرار، ولكنها، مع الأسف، انتصرت عليكم، فرحتم تعيدون الكرة، حربًا وراء حرب، وهزيمة إثر هزيمة، بلا كلل أو يأس، لم تبالوا بإنفاق القسم الأكبر من ميزانية بلدكم على الجيش، والتوازن الاستراتيجي، وهجمتم على إسرائيل سنة 1967، وانتكستم، وأضعتم جولانكم، وفي 1973، أضعتم أراضي جديدة، ولم تفكروا بإجراء صلح معها، والحق عليها بالطبع، فلو كانت دولة مسلمة، لسكتم، وساعدتموها في تطبيق شرع الله على الشعب الإسرائيلي!

عفوًا، أيها الأحبة، حضراتكم غير معتادين على هذا النوع من الخطاب، وعلى هذه الصراحة، ولذلك سيلجأ قسم كبير منكم لترك الفكرة المطروحة جانبًا، وتوجيه اللوم والاتهامات لي، وهذا لأنكم تصرون على إعادة تجربة فشلت مرارًا، وتنتظرون نتائج مختلفة.